

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر 2 معهد الآثار

مـدارس المغرب الأوســـط
الزيانيـة و المريـنية
(دراسة تاريخية أثرية)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية

من إعداد الطالبة:
بوخضار فايزة

تحت إشراف
الأستاذ الدكتور صالح بن قربة

السنة الجامعية 2010ـ 2011

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر 2

معهد الآثار

مدارس المغرب الأوسط

الزيانية و المرينية

(دراسة تاريخية أثرية)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية

من إعداد الطالبة:
فايزة بوخضار

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:
صالح بن قربة

لجنة المناقشة:

-خديجة نشار...رئيسا.

-شريفة طيان...عضوا.

-هجيرة تمليكشت..عضوا.

السنة الجامعية 2010- 2011

شكر و عرفان

اشكر الله تعالى الذي ألهمني الصبر حتى أتممت هدا العمل المتواضع

و أتوجه بجزيل الشكر و العرفان إلى الأستاذ المشرف الدكتور صالح بن قربة الذي تابع باهتمام كل مراحل هدا البحث، و على المساعدة القيمة التي قدمها لي، و الذي لم يبخل علي بنصائحه و توجيهاته.

كما أقدم له كل التقدير و الامتنان على سخاءه في الميدان العلمي، باعتباره احد أعمدة معهد الآثار بجامعة الجزائر

فبارك الله فيك.

إهداء

إلى اعز ما لدي...........والديا الكريمين،

إلى قرة عيني أبنائي.........رامي و وليد،

إلى زوجي رفيق دربي ،

إلى من شجعوني و ساندوني ....إخوتي،

إلى جميع الزملاء و اخص بالذكر الزميل "العيشي كمال "

المقدمة:

ليس غريبا أن يهتم المسلمون بالعلم و التعليم ما دامت أول آية نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم تأمره بالقراءة، حيث يقول تعالى "اقرأ بسم ربك الذي خلق،خلق الإنسان من علق اقرأ و ربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم"فهي دعوة صريحة للتعلم جاءت لتؤكد أهمية العلم في حياة المسلمين.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعتق الأسرى مقابل تعليمهم المسلمين القراءة و الكتابة، وكان يدفع الناس إلى الإحاطة بمبادئ العلم لقوله صلى الله عليه وسلم:"من أراد الدنيا فعليه بالعلم و من أراد الآخرة فعليه بالعلم و من أرادهما معا فعليه بالعلم".

لقد احتل العلم منزلة رفيعة في الإسلام، فمنذ ظهوره شرع المسلمون بالتعلم فكانت المساجد المراكز الأولى للتعلم ، حيث درست فيها العلوم الدينية ثم اتسعت للعلوم الأخرى المختلفة كاللغة و الطب مما أدى إلى ظهور دور العلم و الحكمة لتبرز المدارس فيما بعد كمؤسسات مستقلة تنحصر وظيفتها الأساسية في التدريس، وتتمتع بنظامها و أسسها و تستجيب لوظيفة المسجد و الخان اللذان يجتمعان فيها.

و تجدر الملاحظة في هذا الصدد إلى أن دراسة المعالم الإسلامية الأخرى كالمساجد قد حظيت بحصة الأسد بينما بقيت المدرسة بعيدة عن العناية و الاهتمام الذي تستحقه من قبل الباحثين و المنشغلين بهذا المجال الحيوي الواسع و هذا على الرغم من كونها تعد من ابرز المؤسسات التي أدت دورا مهما في تطوير الحركة التعليمية و نشر الثقافة الدينية و العلمية المتخصصة ،فضلا عن صورتها المعمارية الفريدة وأنماطها المتميزة بين المشرق و المغرب.

و نظرا لهذا الدور الذي أدته هذه المعالم الثقافية في تاريخ نشر الإسلام و الثقافة العربية ببلاد المغرب الأوسط وقع اختياري على معالجة هذا الموضوع و هو مدارس المغرب الأوسط في العصر الزياني و المريني الذي يعتبر مادة غنية للبحث و الدراسة الذي لم يحظ باهتمام الباحثين و المهتمين إذ لم يخصصوا له دراسات شاملة و وافية تليق بمقامها.

و يبدو أن ظهور المدارس بالمغرب الإسلامي يعتبر تطور كبير للحركة العلمية، ومؤشرا على مدى ازدهار الثقافة و الفنون و الآداب.

لقد شيد الزيانيون و المرينيون المدارس التي تعتبر من أهم معالم تلك الفترة و خاصة و إن السلاطين أعطوا لهذا النوع من العمائر اهتمام خاص ، لم تحض المدارس الزيانية بالدراسة الكافية وهذا لاندثارها جميعها و التي كان عددها ثلاثة الأولى سميت بالمدرسة القديمة او مدرسة أولاد الإمام ،و الثانية المدرسة التاشفينية التي تعد فريدة من نوعها و أخيرا المدرسة اليعقوبية .

أما المدارس المرينية فتعتبر من الأشياء الرائعة التي خلدها لنا التاريخ و لازالت تنطق بعظمة المرينيين في ميدان البناء و الزخرفة الرائعة ،و من بين المدارس التي بقيت صامدة هي مدرسة ابي مدين أو المدرسة الخلدونية التي بناها السلطان أبو الحسن المريني بتلمسان، لكن لم يضع الرث المريني لان بلاد المغرب الأقصى لازالت قائمة.

أسباب اختيار الموضوع:

قررت بحث موضوع مدارس المغرب الأوسط خلال العهد الزياني المريني:

-لان المدارس تعد من أهم المؤسسات التي وضع فيها الفنان لمسة خاصة ،هذا ما اكسبها أسلوبا متميزا في البناء و الزخرفة ،وأعطى لها طابعا خاصا ميزها عن غيرها من الحضارات الأخرى.

-اختيار تلمسان كمدينة لموضوع البحث باعتبارها مركزا للإشعاع الثقافي استقطب رجال العلم آنذاك و احتضن العديد من المراكز الدينية و العلمية.،و ما تسميات هذه المدارس إلا دليل على الأهمية التي تستحقها.

- دور هذه المدارس التربوي و التعليمي في بلدان المغرب الإسلامي،و الحياة الفكرية و العلمية التي كانت تتميز بها.

الإشكالية:

تتمحور إشكالية هذا البحث على طرح مجموعة من التساؤلات تتعلق بالمدارس المزمع دراستها و التي لعلها تنزع الغبار و لو قليلا على هذه التساؤلات و هي كالاتي:

-ماذا يمثل لنا ظهور المدارس معماريا و فكريا؟

-ماهي الأسباب التي جعلت حكام الفترة الزيانية و المرينية يهتمون بهذا النوع من العمائر

-كيف كان تخطيطها الهندسي؟

-ماهي المكونات المعمارية للمدارس الزيانية و المرينية ؟

-كيف كانت تجري الحياة الفكرية في هذه المدارس؟

-ما الدور الذي تلعبه في المجالس التربوية و التعليمية و نشر المعرفة؟

منهج البحث:

لمعالجة هذا الموضوع منهجا علميا يقوم على محورين رئيسين:

- **المحور الأول:** نظري و يهتم بالجانب التاريخي لظهور المدارس و كل ما يتعلق بتاريخ تأسيسها ،و الوثائق و النصوص التي لها علاقة بالموضوع و خاصة تلك الآراء و النظريات التي حيكت حول مسالة المدارس المغربية في العصر الإسلامي.

-**المحور الثاني:** تطبيقي و يأخذ في الاعتبار الدراسة الميدانية من الرفع المعماري و الأثري للمعالم فضلا عن الاهتمام بهذه الآثار تخطيطا و بناءا و عمارة و زخرفة و تعليما.

نقد المصادر و المراجع:

سوف أتناول في هذا العنوان مجموعة من المصادر و المراجع التي لها علاقة وطيدة بموضوع البحث سواء من الناحية التاريخية او الناحية المعمارية و هي كالاتي:

- عبد الرحمن ابن خلدون(ت 808ه/1406م) في كتابه العبر و ديوان المبتدأ والخبر في ذكر العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر و الخبر طبعة بولاق الجزء السابع الذي تطرق فيه على تاريخ الدولة الزيانية، كما تضمن الكتاب أسماء العلماء الدين درسوا بمدارس تلمسان .

-يحي ابن خلدون(ت 780ه/1378م) في كتابه بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد تحقيق عبد الحميد حاجيات ، في جزءه الأول والثاني حيث تمكنا من اخذ معلومات وافية منه حول تاريخ الدولة الزيانية في الفترة التي عرفت فيها ازدهارا و تقدما،كما ذكر أيضا في هدا الكتاب أسماء العلماء و الأولياء الدين ساهموا في تطور الحياة الفكرية .

-ابن مرزوق الخطيب التلمساني (ت 781/1389م) في كتابه المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس بغيرا ،و ذلك حول إنشاء المدارس و دورها التربوي و التعليمي في بلاد المغرب كما ذكرها كلها سواء المشيدة في المغرب الأقصى أو المغرب الأوسط،

-محمد ابن عبد الله التنسي(ت 799ه/1493م) في كتابه تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ،مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان ، تحقيق محمد بوعياد ، الذي يذكر تاريخ بني زيان مع الإشادة بمؤسساتهم .

-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب لأحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041ه/1631م) الذي جمع فيه بين الأدب و التاريخ ،و أخبار الملوك، وذكر فيه أسماء العلماء و الفقهاء الدين درسوا بمدارس كل من تلمسان و فاس و مراكش.
- الأستاذ الدكتور صالح بن قربة في كتابه تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر الذي طبع سنة 2007، الذي يحتوي على معلومات جد هامة حول مدارس المغرب الأوسط
ومن المراجع الأجنبية التي استفدنا منها لدينا :

-Bourouiba Rachid : l'art religieux musulman en Algérie ,2eme édition SNED 1981.

-Marcais(g) et (w) : les monuments arabes de Tlemcen, fontemoiny, paris 1905.

-Brosslard (ch) : les inscriptions arabes de Tlemcen extrait du journal asiatique1917-1918.

-Golvin (L) : la medersa médiévale, edisud 1995.

خطة البحث:

لقد ألزمت نفسي بإتباع منهجية محددة و هذا تحت إشراف و إرشادات الأستاذ المشرف و هي تعتمد على مقدمة مدخل و ثلاث فصول وخاتمة،مع ثبت بالمصادر و المراجع ،ثم فهارس العلام و الأماكن و الملاحق الموضحة للمتن.

-في **المقدمة** أعطيت تعريفا وجيزا لموضوع للبحث مع التطرق لاشكالياته ،و توضيح المنهجية التي اتخذتها في بحثي.

-أما **المدخل** تطرقت فيه إلى النقاط التالية:

تاريخ ظهور المدارس في المشرق و المغرب الإسلاميين وبداية المدارس كمؤسسات تعليمية خاصة ،ثم قمت بتعريف المدرسة مصطلحا ووظيفة ،و كذا إعطاء نبذة تاريخية على مدينة تلمسان باعتبارها عاصمة المغرب الأوسط آنذاك مع التطرق إلى المراحل التاريخية التي مرت بها المدينة .

الفصل الأول:المدارس الزيانية

فخصصته لتمهيد وجيز يتعلق بدولة بني زيان و الدراسة التاريخية و الأثرية للمدارس الزيانية،حيث تطرقت إلى موقعها و ظروف تأسيسها و دراسة أقسامها و مكونتها المعمارية إلى جانب الناحية الزخرفية وهنا يتعلق الأمر بمدرسة أولاد الإمام و المدرسة اليعقوبية و أخيرا المدرسة التاشفيتية.

الفصل الثاني: المدارس المرينية

فتناولت فيه كذلك تمهيدا يخص الدولة المرينية و الدراسة المعمارية و الفنية للمدارس المرينية بمدينة تلمسان هي مدرسة سيدي أبي مدين بالعباد و مدرسة سيدي الحلوي حيث الذي كان محور الدراسة فيه غير بعيد عن الفصل الأول حيث تطرقت فيه أيضا إلى دراسة أقسام المدرسة المعمارية دون الاستغناء عن الجانب الفني.

الفصل الثالث :دور المدرسة التربوي و التعليمي

تناولت فيه المدرسة و نظامها عند المسلمين و نظام التعليم بالمغرب الأوسط،و المراحل التي كان يمر بها التعليم آنذاك و الطرق العديدة التي يستعملها المدرس لإلقاء الدرس، و المستوى العلمي للمدرسين .
و أنهيت البحث **بخاتمة** أبرزت فيها أهم النتائج التي كشفتها لنا هذه الدراسة.

-صعوبات البحث:

لايفوتني أن أشير إلى العقبات التي اعترضتني وهي:
- موضوع بحثي الذي ينصب على مدارس المغرب الأوسط قد زالت معالمها ،و خاصة بالنسبة للناحية الزخرفية ،فكان جد صعب فهي تكاد تنعدم.

- عدم وجود وثائق كافية عنها، حيث اغلب الدراسات العلمية، عبارة عن مقالات، أو بحوث في مجالات و دوريات.

وفي نهاية هذا الملخص ، لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الذي تابع البحث قراءة و تصحيحا و توجيها و إلى جميع أعضاء لجنة المناقشة الذين صرفوا و قتا كبيرا في قراءة هذا العمل ،و كل من مد لي يد العون من قريب أو من بعيد ،و اخص بالذكر زميلي العيشي كمال الذي كان شديد الصبر و التحمل،و عمال مكتبة و أرشيف الديوان الوطني لتسيير و استغلال الممتلكات الثقافية المحمية بقصر رياس البحر.

أحمد الله الذي ساعدني و أعطاني القدرة على البحث و إتمام هذه الدراسة، فمهما كانت بساطتها فهي ذات فائدة.

و ختاما فان أصبت فمن الله وان أخطأت فمن نفسي .

- وما توفيقي إلا بالله- صدق الله العظيم

مدخل عام

-أولا:ظهور المدارس و انتشارها.

-ثانيا:انتشار المدارس ببلاد المغرب.

-ثالثا:مفهوم المدرسة مصطلحا و وظيفة.

-رابعا:نبذة تاريخية عن مدينة تلمسان.

يشمل هذا المدخل على عدة نقاط أساسية أثرت فيها بعض القضايا الرئيسية التي تهم موضوع البحث ،وهي حسب أهميتها التالية:

اولا- ظهور المدارس و انتشارها:

1-في المشرق:

لقد ظهرت المدارس كمؤسسات تربوية و تعليمية في الإسلام، نتيجة للتطور الذي أصاب الحياة الدينية و الثقافية في كثير من بلدان العالم الإسلامي، كما كان لتشجيع الأمراء و السلاطين للعلماء الأدباء على القيام بنشر الإسلام و الثقافة العربية و لا سيما دعم المذاهب السنية المعروفة آنذاك للوقوف في وجه الفرق الدينية المختلفة ، الأثر الأكبر في نشأة المدارس الإسلامية التي ساعدت على خلق جو من التنافس العلمي و الأدبي بين المدن و الحواضر المشرقية منذ القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ،و هكذا نجد أن مدينة نيسابور تعتبر أول مدينة أطلقت كلمة مدرسة على دار العلم و ذلك أثناء حكم السلطان محمود الغزنوي في القرن الرابع الهجري. [1]

فقد ذكر المقريزي بخصوص نشأة المدارس بان المدارس مما حدث في الإسلام ،ولم تكن معروفة في زمن الصحابة و لا التابعين ،و إنما حدث عملها بعد الأربعمائة من سنة الهجرة و أول من حفظ عنه انه بنا مدرسة في الإسلام أهل نيسابور ، فبنيت المدرسة البهيقية.[2]

فالمدرسة البيهيقية تأسست قبل أن يولد نظام الملك ،أما المدرسة السعدية فقد بناها نصر الدين بن سبكتكين اخو السلطان محمود الغزنوي و مدرسة بناها إسماعيل الاسترابادي الصوفي الواعظ و أخرى بنيت للأستاذ آبي إسحاق الاسفراييني حوالي سنة 418ه/1027م و هناك من الباحثين من انه يرى أن عدد المدارس التي بنيت حوالي ثلاث و ثلاثين مدرسة قبل النظامية.[3]

ويبدو أن هذا النوع من المؤسسات مقتصرا على بلاد فارس حتى بنيت المدرسة النظامية في بغداد سنة 457ه/1064م ،حيث يذكرها ابن جبير في حديثهعن مدارس بغداد:[4]"....و المدارس بها نحو الثلاثين ، و هي كلها بالشرقية ،و ما منها مدرسة إلا يقصر القصر البديع عنها ،و أعظمها و أشهرها النظامية ، و هي التي ابتناها نظام الملك ، و جددت سنة أربع و خمسمائة ،و لهذه المدارس أوقاف عظيمة و عقارات محتبسة تتصير إلى الفقهاء المدرسين...."

---

1) سعاد ماهر: مساجد مصر و أولياؤها الصالحون ج1،المجلسالأعلى للشؤون الإسلامية ،القاهرة ،1971 ص 15.

2) المقريزي: كتاب المواعظ و الأخبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزي ج2 القاهرة (د-ت) ،ص363

3) كامل حيدر:العمارة العربية الإسلامية :نشوء المدارس الإسلامية و خصائصها في العصر العباسي دار الفكر اللبناني -بيروت ط1 1990 ص 24-25 .

4) ابن جبير: تذكرة بالأخبار عن اتفاقيات الإسفار المعروفة برحلة" ابن جبير" ،دار صادر بيروت ، 1945،ص 205.

و لقد اشار، تاج الدين السبكي المتوفى سنة 771ه/1369م في كتابه "طبقات الشافعية الكبرى"إلى عدد من المدارس التي شيدها الوزير نظام الملك بحوالي 10مدارس وهي :

بغداد و بلخ و نيسابور و هراة و اصبهان و البصرة ثم مرو و آمل و أخيرا الموصل.[1]

بعد المدرسة النظامية تأتي المدرسة المستنصرية في الدرجة الثانية من حيث الشهرة انظر(المخطط رقم1) ، و سميت كذلك (أي المستنصرية) نسبة إلى مؤسسها الخليفة العباسي المستنصر بالله والذي حكم من625-631ه/1233م.[2]

بعدها انتقلت حركة تشييد المدارس من العراق إلى الشام ،فحين زار ابن جبير مدينة دمشق عاصمة الأمويين قال عنها:"و من أحسن مدارس الدنيا منظرا مدرسة نور الدين[3] رحمه الله...و هي قصر من القصور الأنيقة"[4].

ووصل نظام المدارس إلى مصر في أواخر العهد الفاطمي و كانت الإسكندرية أول منشأ لنظام المدارس ذات المذهب السني ، فأول مدرسة شيدت كانت على يد الوزير الفاطمي الحافظ رضوان بن ولخشي و ذلك سنة 532ه/1137م.[5]

ثم مدرسة للشافعية على يد الوزير علي بن السلار و ذلك سنة 544ه/1149م.[6]

و لقد تواصل إنشاء المدارس حتى بعد وفاة صلاح الدين من أهمها المدرسة الكاملية انظر(المخطط رقم 2) التي أنشاها السلطان الكامل سنة 621ه/1124م و المدرسة الصالحية انظر(المخطط رقم3)نسبة للصالح نجم الدين أيوب سنة 639ه/1241م ، و كانت مخصصة للمذاهب الأربعة .

وكان ديوان الاحباس و الأوقاف هو المكلف بالصرف على هذه المؤسسات و ذلك بدفع المراتب لمستخدميها و المنح للطلبة.[7]

---

1) نقلا عن كامل حيدر: المرجع السابق ص 27-28.
2) ابن بطوطة : الرحلة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، دار صادر ،بيروت 1384ه/1964م،ص 225.
3) هو نور الدين زنكي ،يلقب بالملك العادل هو الابن الثاني لعماد الدين زنكي ،حكم حلب بعد وفاة ابيه (569-511ه/1118-1174م)انظر محمد ابن عثمان الذهبي سير اعلام النبلاء ،مؤسسة الرسالة ،بيروت 1422ه/2001م ،ج20،ص531.
4) ابن جبير: المصدر نفسه ص265.
5) محمد عبد الرحيم غنيمة :تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى ، تطوان ،المغرب 1953،ص 82-83.
6) احمد فكري :مساجد القاهرة و مدارسها ،ج2 ،دار المعارف مصر 1119ص 49-50
7) د/لعرج عبد العزيز: المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية ،دراسة أثرية معمارية و فنية ،رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية 1999 ص30

2–في المغرب:

أما في المغرب فقد اختلف الباحثون، حول تحديد بداية ظهور المدرسة المغربية بفعل تباين المصادر المعتمدة في الموضوع حيث تشير النصوص التاريخية غلى وجود المدارس في المغرب الإسلامي.

منذ عهد حكم الخليفة ألموحدي يعقوب المنصور (580-595ه/1184-1199م) حيث يذكر ابن أبي زرع في كتابه (الأنيس المطرب بروض القرطاس) بقوله: "انه كان عالما بالحديث و الفقه و اللغة، مشاركا في كثير من العلوم النافعة للدين و الدنيا، محبا في العلماء، معظما لهم صادرا عن رأيهم..."كما يواصل ابن آبي زرع في فقرة أخرى، متحدثا عن الأعمال العمرانية للخليفة ألموحدي يعقوب المنصور في قوله "...و حصن البلاد و ضبط الثغور و بنا المساجد و المدارس في بلاد المغرب و افريقية و الأندلس ......و أجرى المرتبات على الفقهاء و الطلبة على قدر مراتبهم و طبقاتهم". [2]

آما ابن مرزوق في كتابه (المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن) فقد جاء برأي مخالف حيث يقول: " إن إنشاء المدارس كان في المغرب غير معروف حتى انشأ مولانا المجاهد الملك العابد (أبو يوسف ابن يعقوب المر يني) مدرسة الحلفائيين بمدينة فاس و بعدوة القرويين منها". [3]

كما أشار التيجاني في رحلته ا ن أول مدرسة انشات كانت "المدرسة المنتصرية" التي بنيت بطرابلس الحفصية بين سنتي (630-658ه)- (1234-1260م) بقوله:"أحسنها المدرسة المستنصرية التي كان بناؤها .....فيها بين سنة خمس و خمسين"[4].واعتبرها القاعدة لانطلاق بناء بقية المدارس التي أشار إليها من قبل ،بحيث أن المستنصر الحفصي الذي ولي الحكم سنة 646ه/1248 م، و الذي تلقب الخلافة سنة 650ه/1252م ، قد اخذ التقرب من المالكية في افريقية عن طريق تأسيس مدرسة. [5]

إن هذا التباين في الآراء و الاختلاف في وجهات النظر ما هو إلا سبب لغياب الشواهد الأثرية و ذلك لاندثار المباني التعليمية التي ترجع إلى الفترة السابقة عن المرينيين، وعليه فان استعمال مصطلح المدرسة في المصادر قد يكتنفه الغموض و قد يستخدم دون التدقيق في معناه و دلالته و أبعاده.[6]

---

1) المقريزي:الخطط ،ج 3،ص 315-316.
2) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ط الرباط 1999 ص268.
3) ابن مرزوق التلمساني : المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن (تح : د/ ماريا خيسوسبيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع) الجزائر 1981 ص 405.
4) أبو العباس احمد التيجاني : رحلة التيجاني ، المطبعة الرسمية تونس 1958 م، ص.251.
5) محمد القبلي : قضية المدارس المرينية ،ملاحظات و تأويلات ضمن كتاب: في النهضة و التراكم –المعرفة التاريخية- دار توبقال للنشر الدار البيضاء 1987ص 51
6) الحاج موسى عوني:المدرسةالمصباحية بفاس ، ملاحظات حول إشعاعها العلمي و مميزاتها المعمارية –المصنفة الفخرية للعالم محمد زبيس، المعهد الوطني للتراث تونس(د–ت) ص2.

ثانيا-انتشار المدارس في بلاد المغرب:

أ-في تونس:

عرف القرن السابع الهجري ظهور ثلاث مدارس في تونس و ذلك خلال الحكم الحفصي (625-941ه/1218-1543م).

وأولها المدرسة الشماعية في سوق الشماعين في تلك الفترة[1] حيث أنشاها أبو زكريا عندما استقل عن الموحدين بمحاربة مذهبهم القائم على تعاليم ابن تومرت ، و إحياء للمذهب المالكي.[2]

أما المدرسة الثانية هي التوفيقية أو مدرسة الهواء أنشأتها الأميرة الحفصية عطف أم المستنصر و زوجة أبو زكريا و ذلك حوالي 650ه/1252م و ذلك بالقرب من جامع الهواء.[3]

أما المدرسة الثالثة فهي المريدية التي أقيمت على أنقاض مخمرة وذلك بأمر من السلطان أبو زكريا يحي الثاني وهذا سنة 683-1282م . [4]

وقد ازدادت المدارس انتشارا خلال القرن 9ه/15م حيث بلغ ستة مدارس.وقد واكب ظهور المدارس أنماط معمارية جديدة تتمثل في إلحاق مساجد أو زوايا أو أسبلة بها و نتيجة هذا التطور أطلق عليها "المدرسة الزاوية"[5]

---

1) ابن أبيدينار:المؤنس في تاريخ إفريقيا و تونس، تحقيق محمد شمام، ط1 المكتبة العتيقة تونس، 1967 ص134

2)Brunchving.(R) : « remarques sur les medersas tunisiennes »extrait de la revuetunisienne ,2éme trimestre1931, p.273.

3) محمد بن خوجة: تاريخ معالم التوحيد ،المطبعة التونسية ،تونس، 1358ه ص288.

انظر

4) Brunchving.(R) : remarques………p265

:

5) عبد العزيز لعرج:المبانيالمرينية في إمارة تلمسان الزيانية ، ص311.

ب–في المغرب الأقصى:

كان إنشاء المدارس في المغرب الأقصى بعد ثلاثين سنة من تاريخ إنشاء أول مدرسة في تونس وتعتبر الدولة المرينية بالمغرب الأقصى ، أكثر دول المغرب الإسلامي نشاطا في المجال العمراني بصفة عامة و وتشييد المدارس بصفة خاصة حيث ظهرت بعدد أوفر و جمال أروع.

و كانت أول المدارس التي انشات بالمغرب الأقصى مدرسة الصفارين التي يرجع تاريخها إلى حكم السلطان المريني الثاني أبو يعقوب ابن عبد الحق (657-685ه/1258-1286م) في أواخر القرن7ه/13م.[1]

بعد مدرسة الصفارين يمكننا تصنيف المدارس التي ظهرت إلى ثلاثة مجموعات حيث كل مجموعة تعود لعهد معين.[2]

–المجموعة الأولى: (710-732ه/1310-1331م) ترجع إلى عهد آبي سعيد عثمان المريني ، حيث انشآ هو و ابنه الأمير أبو الحسن أربع مدارس هي:

مدرسة فاس الجديد،مدرسة دار المخزن وذلك سنة 720ه-1321م، ثم مدرسة الصهريج (الكبرى) بناها الأمير أبو الحسن و ذلك سنة 721ه/1323م و كملت سنة 725ه/1325م.[3]

–المجموعة الثانية:(749-759ه/1348-1357)

تضم مجموعة المدارس التي انشاها السلطان أبو الحسن أو كلف بها ولي عهده أبا عنان و تشمل مدرسة سلا ، التي شيدت سنة 746ه/1341م و المصباحية التي عاصرت تاريخ تأسيس مدرسة سيدي بومدين بتلمسان سنة (747ه/1346م).[4]

ولقد ذكر ابن مرزوق ا ن أبا الحسن ا نشا في كل بلد من بلاد المغرب الأقصى و الأوسط مدرسة "فانشا بمدينة تازى قديما مدرستها الحسنة ،وببلاد مكناسة و سلا و طنجة و سبتة وانفي و ازمور و اغمات و مراكش و القصر الكبير و العباد بظاهر تلمسان، و بالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب اختلاف البلدان....".[5]

---

1) Bel, Alfred : Inscription arabes de Fès, extrait du journal asiatique, 1917-18 Imprimerienationale, paris, 1919, p.93.

2) انظر: Marcais. (G) :l'architecture musulmane d'occident arts et métiers graphique, paris1954p.272.

3) انظر: Marcais (.G) : نفس المرجع ،ص 86

4) شارل أندري جوليان:تاريخ إفريقيا الشمالية،تعريب محمد مزالي و البشير بن سلامة،ج2، الدار التونسية للنشر

5) ابن مرزوق:المسند الصحيح.....ص406.

-المجموعة الثالثة: (**749-759ه/1348-1357م**)

وهما المدرستان اللتان تنسبان لأبي عنان فارس، بوعنانية مكناس التي ابتدأ بانشاءها على عهد والده ، وبوعنانية مدينة فاس الكبرى التي تمتاز بجمال فائق[1].وكان يطلق عليها المدرسة المتوكلية و تعد هذه الأخيرة آخر المدارس التي أنشاها بنو مرين. [2]

ج-في تلمسان:(الخريطة رقم1).

أما بالنسبة لتلمسان كان تأسيس أول مدرسة في عهد السلطان أبو حمو موسى الأول حيث انشأ سنة 710ه/1310م للعالمين الجليلين و الفقيهين الشهرين أبي زيد عبد الرحمن و آبي موسى عيسى ابني الإمام الفقيه آبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام[3]من أهل برشك * التي لم يبق منها غير المصلى الصغير المشرف على الصحن الصغير[4]

أما المدرسة الثانية فهي التاشفنية و ذلك خلال حكم آبي تاشفين (718-737ه/1318-1336م) سميت في حياته باسمه ثم دعيت بالمدرسة الجديدة بعد وفاته [5] حيث تعد فريدة من نوعها في بلاد المغرب من حيث تخطيطها أو فسيفسائها الخزفية و المحفوظة أجزاء منها في متحف تلمسان. [6]

---

1) حسن الوزان المعروف بليوناالإفريقي:وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ج1، بيروت لبنان، 1983، ص215-225-226.
2) د/عبد العزيز سالم :مدارس فاس في /مساجد و معاهد سلسلة كتاب الشعب رقم 78 ،ج2 ،مطابع الشعب ، القاهرة 1960 ص205.
3) محمد بن عبد الله التنسي:تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان حققه محمود بوعياد 2007 ،
4) Marcais. (G) : remarques sur les medersasfunéraires en berberie, mélangesGaudfroy demombyneS, institut français, le caire , 1937 p.264.انظر

*برشك : مدينة بالساحل الغربي الجزائري ما بين شرشال و تنس

5) Barges.(G.L.L) :Tlemcen, ancienne capitale du royaume de ce nom, paris 1859 pp.326-33
6) Marcais.(W) : musée de Tlemcen, édition Ernest Leroux, paris, 1906, p20

و في حدود (763 -765ه/1361-1363م) بنيت المدرسة اليعقوبية بجانب ضريح سيدي إبراهيم المصمودي[1] على يد السلطان أبي حمو موسى الثاني. [2]

أما المدرسة التي لا تزال قائمة فهي مدرسة سيدي بومدين التي بناها السلطان أبو الحسن علي بن ابي سعيد عثمان المريني و ذلك سنة (747ه-1347م) لتكون أول مركز علمي و ثقافي بمدينة تلمسان ، ولقد غلب عليها اسم العباد فأصبحت تعرف (بمدرسة العباد) و لقد أشار ابن مرزوق إليها قائلا: "... وبالعباد ظاهر تلمسان و حذاء الجامع الذي قدمت ذكره ، و بالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب اختلاف البلدان..."[3]

أما المدرسة الأخيرة فهي مدرسة سيدي الحلوي بناها السلطان أبو عنان فارس و ذلك سنة 754ه/135 التي تقع بجوار ضريح الولي الصالح المتصوف آبي عبد الله الشوذي الاشبيلي المعروف بسيدي الحلوي.[4]

و الآن بعد أن أتينا على ذكر أهم المدارس التي ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي في فترات متفاوتة ، حيث اشرنا إلى تواريخ تأسيسها و ذلك تسهيلا و توطئة لدراسة مصطلحاتها و وظائفها.

1-اصله من صنهاجة المغرب قرب مكناسة ولد ونشا بها فلما كبر طلب العلم من جماعة من الأكابركالشيخ موسى العبدوسي و الشيخ الإمام الشهير محمد الابلي ،و كان معروفا بالورع و الزهد و الايثار ،توفي عام 804ه و دفن بروضة أل زيان من ملوك تلمسان انظر: ابن مريم :البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر (د-ت) ص5.

2ابن مرزوق :المسند الصحيح ......ص406.

3ابن مريم : البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ،ص68-70.

4إبن الحاج النميري: فيض العباب و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب، دراسة و إعداد محمد بن شقرون، الرباط، 1999 ص،279.

ثالثا– المدرسة مصطلحا ووظيفة:

المدرسة مشتقة من فعل (درس) بمعنى قرأ ،كما ورد في القران يقول الله تعالى:"الم تأخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق،ودرسوا ما فيه". [1]

كما أن الحلقات الفقهية التي تقام في المساجد تعرف بالدرس، و كان يطلق أحيانا على معلم الفقه لقب "مدرس". [2]

و يذهب المقريزي إلى تعريف المدرسة أنها تأتي من الفعل "درس الكتاب" يدرسه درسا ودراسة،و المدرس :هو الموضع الذي يدرس فيه.[3] و نجد أن عبارة (و درسوا ما فيه) تعني (قرأ ما فيه)، و قوله تبارك و تعالى: "وكذلك نصرف الآيات و ليقولوا درست و لنبينه لقوم يعلمون"[4]

و قد ظهرت المدرسة مع تطور العلوم الإسلامية ، بحيث أصبحت تضم علوما أخرى كالفلسفة و الأدب و اللغة ، و هنا أصبح المسجد لا يسع لذلك لأنه كان يتخذ للصلاة ، كما أن المدرسة أصبحت تأوي الطلبة الأجانب ، فهي ذات نظام و أسس تستجيب في أن واحد لوظيفة المسجد و الخان.[5]

أما مدلول المدرسة معماريا، فهي مؤسسة تضم بيتا للصلاة و الدراسة في أن واحد حيث تعرف باسم (القبة)، كما تحتوي أيضا على صحن مكشوف واسع، و سكنى للطلبة بها طابق أو طابقين بهما غرف و مرافق أخرى إلى جانب مكتبة.

و بهذا الصدد يقول الدكتور احمد فكري:" اتخذت المدرسة وظيفتها الرئيسية من كونها أعدت لسكن الفقهاء"[6]

---

1) الآية 169 من سورة الأعراف.

2) جورج مقدسي:"مؤسسات العلم الإسلامية ببغداد ،الأبحاث تصدر عن الجامعة الأمريكية ببيروت 1961،ج3،ص295.

3) المقريزي: المصدر السابق ج2 ،ص362.

4) الآية 105 من سورة الأنعام.

5) . Hillenbrand,(R) : « madrasa », encyclopédie de l'islam T.V paris, GP Maisonneuve, 1986 انظر: p1119/1120.

6) د/ احمد فكري: مساجد القاهرة و مدارسها ج2دار المعارف ،مصر1119 ،ص109-121

فمن الواضح أن المدرسة المستقلة لها شروط خاصة و تعريفها مستمد من البيوت المخصصة لسكنى الشيوخ و الفقهاء و الطلبة، لذلك فالمدارس الإسلامية اعتمدت على مواصفات، منها جدار القبلة يعتبر كقاعدة لتخطيط البناء وحدودها الداخلية تنتظم في مستطيل أو مربع قائم على خط هذا الجدار ، و اعتمدت أيضا على وجود بيت صلاة في كل مدرسة و يكون موقعه دائما في الجهة القبلية من المدرسة و هو من أهم قاعاتها و أوسعها.[1]

وبعد أن عرفنا هده النقاط السالفة الذكر يحسن بنا التطرق إلى تاريخ مدينة تلمسان باعتبارها هي التي اشتملت على المؤسسات التعليمية المدارس ،و دلك حتى نكون على بينة من ظروف التأسيس و أسماءالمؤسسيين و أسماء المدارس كما يساعدنا على فهم المدرسة معماريا و وظيفة

1-د/كامل حيدر: العمارة العربية الإسلامية : نشوء المدارس الإسلامية و خصائصها في العصر العباسي ، ص 26.

رابعا – نبذة تاريخية عن مدينة تلمسان:

يذهب اغلب المؤرخين إلى القول؛ أن تلمسان قديمة النشأة، وقد اهتم الباحثون في العصر الحديث بدراسة أثارها، و توصلوا إلى أن منطقتها عرفت استقرار الإنسان منذ عصر ما قبل التاريخ، كما عثر على مخلفات أثرية تعود إلى العصر الروماني ،حيث كان يطلق عليها اسم بوماريا[1]

وقد اختلفت أخبارها في العهدين الوندالي و البيزنطي ، و في العهد الإسلامي حلت محلها اجادير[2]

ويصفها ابن خلدون بأنها قاعدة المغرب الأوسط ويقول متحدثا عن أجدير :"اختطها بنو يفرن بما كانت في مواطنهم .....و لم نقف لها على خبر أقدم من خبر ابن الرقيق بان أبا المهاجر الذي ولي افريقية بين ولايتي عقبة بن نافع الأولى و الثانية (أي حوالي 45ه/665-666م) توغل في ديار المغرب ووصل إلى تلمسان و به سميت عين أبي المهاجر"

و يذهب أن كلمة تلمسان، في لغة زناته، مركبة من كلمتين:»تلم-سين، و معناها تجمع بين اثنين البر و البحر"[3]

و يضيف أخوه يحي بأنه يقال عنها تلمشان ، وهي كلمة مركبة من تل ، و شان و تعني شأن ، كما لها معنى آخر حيث انها تجمع بين الصحراء و التل.[4]

1) انظر: Piesse (L) et Banal (J) : Tlemcen (extrait de la revue l'Afrique française), paris 1889p.

2) ابن خلدون (يحي): بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد ،ج1،تح عبد الحميد حاجيات ،م.و للنشر الجزائر 1980 ص 210.

3) ابن خلدون (عبد الرحمن):كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ، ط بولاق . ج7 ص156-157.

4) ابن خلدون(يحي): بغية الرواد، ج1، ص85.

وقد أخذت تلمسان تلعب دوراها في التاريخ منذ ولاية أبي المهاجر دينار، حوالي منتصف القرن الأول الهجري (7م)[1] ،حيث وصل إلى عيون تلمسان ،و هناك ظفر بكسيلة بن لمزم[2] ، وعند قيام ثورة ميسرة المدغري سنة 122ه/739م .[3]وجه الوالي الأموي ،عبيد الله بن الحبحاب[4]قائده أبا خالد حبيبا ابن أبي عبيدة[5] من جزيرة صقلية على رأس جيش ليشارك في إخضاع ذلك الثائر الصفري بطنجة لكنه عندما وصل إلى تلمسان بلغه أن معركة الأشراف[6] قد انتهت ، فمكث بها إلى أن التحق به الوالي الجديد كلثوم ابن عياض القشيري القيسي[7]، و ابن أخيه بلج ،ثم انطلقوا منها لخوض معركة وادي سبو ضد الخوارج الصفرية.[8]

1) لقبال موسى: المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج ،سياسة و نظم ، الجزائر 1981 ،ط2 ، ص35.
2) ابن خلدون: العبر، ج1، ص216.ط. بيروت.
3) هو ميسرة المدغري رئيس الصفرية انظر (ابن عذارى المراكشي ، البيان المعرب في أخبار الأندلس و المغرب ،تحقيق و مراجعة ش.كولان و إ.ليفيبورفنسال ،بيروت 1948،ج1،ص59.
4) هو عبيد اله بن الحبحاب بن الحارث ، مولى ابن سلول ، كان كاتبا ثم أصبح عامل خراج مصر ، وبعد ذلك عينه الخليفة هشام واليا على افريقية ، فقدم إليها سنة 116ه/735م انظر:(ابن عذارى ، المصدر السابق ص 51،لقبال موسى المرجع السابق ص106).
5) أبو خالد بن أبي عبيدة ، و يسميه ابن عذارى حبيب ابن أبي عبدة ابن عقبة بن نافع الفهري انظر (البيان ،ج 1،ص 51).
6) معركة الأشراف دارت قرب طنجة سنة 122ه/739م، بين خالد بن حميد الزناتي ، زعيم الصفرية ، بعد ميسرة المدغري ، و بين خالد ابن أبي حبيب بن أبي عبيدة ،قائد عرب القيروان الذي قتل مع عدد كبير من أعيان العرب و أشرافهم ، فسميت لذلك معركة الأشراف انظر (ابن عذارى ، المصدر السابق ج 1،ص 54).
7) انظر: لقبال موسى ، المرجع السابق ،ص 107.
8) الصفرية هم أتباع ابن الأصفر،أو ابن الصفار و هم من الخوارج ،يختلفون عن الاباضية في حكمهم على العقدة عن القتال انظر(الشهرستاني (محمد ابن عبد الكريم) الملل و النحل ، تحقيق كورتر ،لندن 1842 ،ج 1، ص 102).

و تتصدر تلمسان الأحداث في عهد أبي قرة اليفريني[1]الذي أعلن نفسه خليفة بها ، و تزعم الخوارج الصفرية في ثورتهم ضد عمال الخلافة العباسية في القيروان[2]و عندما انهزم عاد إلى مواطنه بنواحي

تلمسان ، و يذكر ابن خلدون أن إبراهيم ابن الأغلب ، نزل بها، عندما قام بحملة ضد أبي قرة[3]و في سنة 173ه/789م، نزل إدريس بن عبد الله [4]،مؤسس الدولة الادريسية قرب المدينة ، فتلقاه محمد بن خزر بن صولات أمير زناتة و تلمسان فدخل في طاعته و حمل عليها مغراوة و بني يفرن و أمكنه من تلمسان فملكها[5]، و بقي بها بضعة أشهر ، ثم عاد بعد ذلك إلى عاصمته "وليلى"[6]

و تذكر بعض المصادر انه ولى أخاه سليمانا ، و قد توجه إدريس الثاني بدوره إلى تلمسان و بقي بها ثلاث سنوات[7]، و لما مات سليمان خلفه ابنه "محمد" على إمارته، الذي اقتسمها أبناؤه ، بعد ذلك ، فاستقل كل واحد منهم بمدينة أو بحصن[8].

---

1) هو زعيم الصفرية و رئيس مغيلية و بني يفرن بالمغرب الأوسط انظر : ابن خلدون (العبر ج 6 ، ص 225-226).

2) لقبال موسى : المرجع السابق ، ص 161.

3) ابن خلدون (عبد الرحمن): العبر، ج 7 ص 156.

4) هو إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي انظر: الزر كلي (خير الدين) ،الأعلام،ط2 ،ج3،ص 188.

5) ابن خلدون (عبد الرحمن):العبر، ج7، ص 157.

6) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 7-8.

7) ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب تحقيق و مراجعة ش كولان و إ. ليفيبروفنسال ، مكتبة صادر بيروت1948،ج1،،ص 83-22-211.

8) ابن خلدون (عبد الرحمن): العبر ج6، ص 34.

و قد سيطر بنو محمد بن سليمان على تلمسان و أعمالها منذ بداية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) إلى بداية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، بدءوا يضعفون و اخذ الزناتيون يسترجعون أمصارها شيئا فشيئا ، بقيادة محمد بن خزر الذي كان يشكل اكبر قوة بالمنطقة ، بدليل انه تصدى وحده للفاطميين عند استيلائهم على مدينة تاهرت[1]، و هو ما لفت نظر خصم هؤلاء، أمير قرطبة ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله [2] ، الذي بادر بإيفاد مبعوثهمحمد بن عبد الله بن عيسى إلى محمد بن خزر ليستميله إلى صفه إلى أعدائه العبيديين فلقي منه استجابة. [3]

و بعدها تحولت تلمسان و أعمالها إلى منطقة صراع بين الخلافتين الأموية بالأندلس و الفاطمية بافريقية استمر إلى أن رحل الخليفة المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر سنة 361ه/971م.[4]

و بعد ذلك اخذ أمراء مغراوة يتنافسون على السلطة بها، و لم يصف الجو لزيري بن عطية إلا سنة 378ه/988-989م[5]، وبفضل تدعيم المنصور بن أبي عامر[6] ، حاجب الخليفة الأندلسي هشام المؤيد بالله[7]له ، إلا أن ذلك التدعيم لم يمنح ابن عطية من إعلان تمرده على السلطة الأندلسية التي لم يعد أو وجودها بالمغرب الأوسط أي مبرر ، ما دام الفاطميون صرفوا عنه أنظارهم ، نهائيا ، إلى بلاد المشرق لكن تلك السلطة تشبثت بنفوذها في المغرب و حافظت عليه إلى أن اشتعلت نار الفتنة في الأندلس سنة 398ه/1067م[8].

---

1) ابن خلدون (عبد الرحمن): العبر، ج 7، ص 52-53.

2) هو عبد الرحمن الثالث بن محمد بن عبد الله أول خلفاء الأندلس (300-350ه/912-961م).انظر:البيان المغرب لابن عذارى المراكشي،ج1،ص 194.

3) ابن خلدون (عبد الرحمن): العبر ج 2، ص34.

4) ابن خلدون(عبد الرحمن): العبر ج 6، ص 275-276.

5) ابن خلدون (عبد الرحمن): العبر ج 6، ص 275.

6) ابن خلدون(عبد الرحمن): العبر ج 2، ص 41-42.

7) هو هشام الثاني المؤيد بالله بن الحكم الثاني ، تولى الخلافة بعد آبيه في صفر سنة 336ه /976م، و هو في العاشرة من عمره ، مات في ظروف غامضة بعد قيام الفتنة في الأندلس سنة 403ه/1013م.انظر ابن عذارى المراكشي :البيان المعرب ، ج 3،ص 75.

8) بن عميرة محمد : دور زناتة في الحركات المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 259.

و بقيت السلطة بتلمسان بيد الأمراء المحليين ، من مغراوة و بني يفرن الزناتيين إلى أن قامت دولة المرابطين[1]، و استقر يوسف ابن تاشفين بمراكش و بدا يتوسع شرقا، فوجه حملة إلى المغرب الأوسط ، قادها مزدليتبلكان ، فهزم القائد يعلى ابن أمير تلمسان بختي[2].

و عاد مزدلي دون أن يستولي على عاصمته ، و بعد ثلاث سنوات قاد يوسف بنفسه حملة كبيرة نحو الشرق ، فهاجم مغراوة ثانية في تلمسان ،و قتل أميرها العباس بن بختي و استولى على المدينة ، وواصل طريقه ففتح وهران و تنس و الونشريس و الجزائر و عاد إلى مراكش سنة 475ه-1078م .[3]
و ترك محمد بن تينعمرالمسوفي قائد الجيوش بتلمسان ، فبني فيها محلة (أي معسكرا) سماهاتاكرارت.[4] أصبحت ثغرا من ثغور المرابطين في المغرب الأوسط ، يشنون منه الغارات على أراضي،الدولة الحمادية[5]،وقد انشأ المرابطون أثناءها مؤسسات عمرانية هامة كمحطة تاكرارت بتلمسان و المسجد الأعظم الذي أمرببناءهالأميرالمرابطي علي بن يوسف بن تاشفين و ذلك في سنة 530ه/1135م.[6] و بقيت تابعة لهم إلى أن استولت عليها قوات الموحدين بقيادة عبد المؤمن (524-558ه/1130-1163م) ،حيث بقي بها ستة أشهر جدد أثناءها بناء دورها و حصنها غاية التحصين و جملة ما بقي هو باب القرمدين الواقع في الجهة الشمالية الغربية من المدينة ، كما أتم بناء جامعهما الكبير الذي بدا بناءه المرابطون، ولقد جعل تلمسان قاعدة الولاية الغربية من المغرب الأوسط[7]

---

1) ابن خلدون (عبد الرحمن): العبر ج7، ص 37-93.
2) ابن خلدون (عبد الرحمن): العبر ج6، ص 380-381.
3) ابن خلدون (عبد الرحمن): العبر، ج6، ص381
4) هي تلمسان القديمة أو الحي القديم ، و يكتبها يحي ابن خلدون ، تاجرارت ، بناها ملك لمتونة يوسف ابن تاشفين في حدود 462ه/1132م انظر : ابن خلدون (يحي) بغية الرواد.
5) ابن خلدون، العبر ج6، ص 380.
6) يحي بوعزيز:الموجز في تاريخ الجزائر ،ج1،ديوان المطبوعات الجامعية،2007،ص 186.
7) شاوش الحاج محمد بن رمضان:باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ،ديوان المطبوعات الجامعية 1995،ص 69.

وعين كولي عليها سليمان بن محمد بن واندين الهنتاتي و في سنة 549ه/1155م ، عين كولي على تلمسان ابنه السيد أبا حفص عمر إلى غاية 555ه/ 1160م ، حيث استدعاه والده إلى مراكش و عين مكانه أخاهأبا عمران موسى و بقي بها حتى عام 564ه/ 11665م ، وهي السنة التي تحرك فيها يوسف عبد المؤمن للجهاد بالأندلس ،فبعث مكانه إلى تلمسان أبا الحسن علي بن عمر بن عبد المؤمن وفي سنة 584ه/1188م نقل السيد أبو الحسن علي إلى ولاية بجاية فخلفه على تلمسان ابن عمه السيد أبو الربيع سليمان ابن عبد الله بن عبد المؤمن ، فبقي فيها إلىأن توفي عام 604ه/1207م.

وبعده تولى الحكم في تلمسان السيد أبا عمران موسى بن يوسف بن عبد المؤمن و ذلك في سنة605ه/1208م.

و بعد أن قتل هذا الأخير بتيهرت في حرب يحي ابن غانية الثائر على الموحدين و ذلك سنة 606ه/ 1909م و لي مكانه أبا زيد ابن بوجان.

لما انتقلت الخلافة الموحدية إلىأبي العلاء إدريس المأمون عام 624ه/1127م ، ولى على تلمسان أخاهالسيد أبا سعيد و كان هذا ضعيف الرأي و كان معه عاملا على الوطن الحسن بن حيون الكومي ، حيث أغراه ببني عبد الواد الذين كانوا الموحدون ا قطعوهم بلاد بين وامنو و بني يلومي بإقليم تلمسان مكافأة لهم في دفاع القبائل المنشقة، فقبض أبو سعيد على جماعة من شيوخ بني عبد الواد و سجنهم ، فتشفع فيهم إبراهيم بن إسماعيل بن علان زعيم الجند اللمتوني سابقا ،فرد شفاعته ، فقام إبراهيم بدعوة ابن غانية و أمربإلقاء القبض على الأميرأبي سعيد و أطلق سراح شيوخ بني عبد الواد في 624ه/1227م و دخلوا تلمسان بدعوة الخليفة المأمون الموحدي، بعد أن قتلوا إبراهيم ابن إسماعيل ، وبعدها تولى الحكم على تلمسان ابر محمد جابر ابن يوسف عام 627ه/1230م ، و استمرت تلمسان في مشيخة ابن عبد الواد إلىأن استقل بها يغمرا سنبن زيان عام 633ه/1235م، لكن الخليفة السعيد الملقب بالمعتصم لم يرض ذلك، فجاء بجموع كبيرة قاصدا تلمسان ، فلقاه يغمراسن و انتصر عليه بواقعة تامزدكت* في 646ه/1248م. [1]

1-شاوش الحاج بن رمضان : نفس المرجع ،ص70-72.

*هذه الواقعة مكانها ببني سنوس ، غرب تلمسان.

الفصل الأول

المدارس الزيانية: (633 -964هـ/1253 -1554م).

تمهيد

1- مدرسة أولاد الإمام.

2- المدرسة اليعقوبية.

3- المدرسة التاشفينية.

خلاصة الفصل.

- **تمهيد:**

كان المغرب الإسلامي خلال القرن السابع هجري موحدا تحت راية الدولة الموحدية ، فشهد أثناءها استقرارا سياسيا و اجتماعيا استمر حوالي قرن من الزمن ، لكن كما نعرف أن الدولة لها أعمار طبيعية كما الأشخاص ، و دولة للموحدين لم تفلت من هذه القاعدة ، احذ الضعف يدب في حكمها فكانت هزيمة وقعة العقاب بالأندلس سنة 609 ه/1212م و تلتها ثورة بني غانية، ثم كانت وقعة بين الموحدين و بني مرين سنة 612ه/ 1216م ثم كان تنافس الولاة و الأمراء على الرئاسة[1].

فنجم عن هذا ظهور ثلاث دول مستقلة ، حيث اخضع الجزء الشرقي لسيطرة بني حفص ، و الجزء الغربي لبني مرين ، بينما استقر بنو زيان بالجزء الأوسط ، حيث اتخذوا عاصمتهم تلمسان .انظر (الخريطة رقم2).

وهكذا انقلب الوضع بالنسبة لدول المغرب و أصبح التوتر يسوده طوال مدة حكم هذه الدول، تتخللها فترات من الاستقرار.وقد ساهم الصراع السياسي بين المرينين و الزيانين مساهمة كبيرة في هذا التوتر.

و قد لعبت مدينة تلمسان دورا هاما، كمركز لهذا الصراع.فقد اتخذها بنو زيان مركزا لسلطانهم منذ أن كانوا ولاة عليها من طرف الموحدين . لكن بعد أن عين الخليفة الموحدي يغمرا سن بن زيان عاملا على تلمسان و بلاد زناتة سنة 624ه استطاع هذا السلطان أن يعلن استقلاله سنة 633ه/1235م[2].

---

1) محمد الطمار: تلمسان عبر العصور،ديوان المطبوعات الجامعية 2007 ص83.

2) ابن خلدون(عبد الرحمن): كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر....ج 13، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983، ص 162.

و لم تمض فترة طويلة من الوقت ، حتى تمكن بنو مرين من السيطرة على كامل المغرب الأقصى ، فتوجهوا بعدها بأنظارهم نحو المغرب الأوسط ، فكان الحصار المشهور لمدينة تلمسان ، التي كان عثمان بن يغمراسن بن زيان حاكما عليها.

و قد دام هذا الحصار الطويل ثماني سنوات و ثلاثة أشهر منذ سنة 698ه/1298م.و أثناءه شيدت مدينة المنصورة.و لم يفك الحصار على المدينة ، إلا بعد أن قتل السلطان المريني أبو يعقوب[1]،في عهد السلطان أبي زيان محمد.

شهدت بعد ذلك تلمسان فترة من الاستقرار، تخللتها فقط بعض الأحداث، و قداستمر هذا الاستقرار طول مدة حكم السلطان أبي زيان ، (703ه/1303م إلى سنة 707ه/1308م)و حكم السلطان آبي حمو موسى الأول الذي حكم من سنة(707ه/1308م إلى سنة 718ه/1318) حتى جاء الحصار الذي ضربه السلطان المريني أبو الحسن إذ استطاع أن يهزم جيش أبا تاشفين ، و أن يدخل مدينة تلمسان سنة 737ه.[2]

حيث قام بتجديد مدينة المنصورة للإقامة فيها.و لم يكن استقراره بها طويلا، إذ سرعان ما نصب السلطان أبا سعيد و أبا ثابت على تلمسان.[3]

و بعد وفاة أبو الحسن سنة 752ه/1351م، خلفه نجله أبو عنان على عرش بني مرين، و لم يجلس على عرشه هذا حتى نهض إلى غزو تلمسان.فبرز لمقاومته آبي سعيد عثمان الزياني ، فانهزم أبو زيان، و استطاع أبو عنان أن يدخل تلمسان مرة اخرى2 سنة 758ه/1352م و امتدت سيطرته على كامل المغرب الإسلامي لمدة وجيزة ، حتى تمكن السلطان أبو حمو موسى الثاني من اعتلاء عرش أجداده ، من جديد سنة 760ه/ فكان هذا السلطان بمثابة الباعث الجديد لروح الدولة الزيانية ، فانتظمت أحوالها ، و تحسن اقتصاد تجارتها ، و ذلك حتى القرن السادس عشر الميلادي.[4] حيث أصبح محل صراع بين السعديين و الأسبان و الأتراك ، الذين قضوا عليها نهائيا عام 957ه/1556م.

---

1) قتل ابو يعقوب سنة 706ه انظر: ابن الأحمر(أبو الوليد إسماعيل): روضة النسرين في دولة بني مرين ، المطبعة الملكية ، الرباط 1962 ،ص19..

2) ابن خلدون (عبد الرحمن):كتاب العبر.....،ص 162.

3) التنسي (محمد بن عبد الله): تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ،مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان ،تح محمود بوعياد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1985،ص 149.

1- مدرسة أولاد الإمام:

هي أول مدرسة أسست من طرف الزيانيين ، كانت تدعى بالمدرسة القديمة ، أسسها السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول (707-714ه/1308-1318م) بالمغرب الأوسط و ذلك سنة 710ه/1310م ،عين للتدريس فيها ابني الإمام أبي زيد عبد الرحمن (ت 743ه/1342م)و أبي موسى عيسى (ت 749ه/1349م) فصارت تعرف باسمهما (أي مدرسة أولاد الإمام)، و كان موقعها بالقرب من باب كشوطة غرب مدينة تلمسان.[1]

لانملك المعلومات الكافية التي تدلنا على ضرفية تأسيس هذه المدرسة إلا قول التنسي الذي كان بتحدث عن أبو حمو موسى الأول قائلا:" .....كان محبا للعلم و أهله معتنيا به ، قائما لحقه ،ابتنى مدرسة لابني الإمام تكريما لهما و احتفاءا بهما ، و شكر الله على نعمته عليه لقتل عدوه أبي يعقوب المريني و تخليص تلمسان منه ، وقد بنيت داخل باب كشوط".[2]

و يذكر المستشرق الفرنسي بروسلارBrosselard ،أن الأمير كان يكلف الأخوين بمهام دبلوماسية تكللت بالنجاح ، فبني لهما مدرسة ،و منازل خاصة لهما و لعائلاتهما و قاعات كبيرة لاستقبال الطلبة و الضيوف ،و الحق بالمدرسة مسجدا للصلاة و زاوية للطلبة الأجانب عن تلمسان شكرا لهما و كان ذلك في السنة الرابعة من ملكه.[3]

---

1) ابن خلدون (يحي): بغية الرواد، ج1، ص 130.

2) ابن مريم: البستان ....ص126.

3) Brosslard (Charles) : « les inscriptions arabes de Tlemcen »(revue africaine ;1859ou1862):

و قد قدما ابنا الإمام هما من مدينة برشك، حيث كان والدهما إماما بأحد مساجد هذه المدينة فاشتهرا يومئذ بهذه النسبة و عرفا بها.

بعد استيلاء زيري بن حماد المكلاتي المعروف بزيرم على مدينة برشك سنة 683ه/1284م رمى بإمام المدينة (والد الأخوين) بتهمة احتوائه على وديعة مالية لبعض أعداء زيرم و طالبه بها فانتفى الإمام منها فقتله زيرم غيلة.

و من هنا ارتحلا الأخوين في أواخر ق 7 ه إلى تونس حيث اجتمعا هناك بفطاحل العلماء ، و بعد أن أنهى الأخوان رحلتهما العلمية بالمغرب العربي ،عادا إلى مسقط رأسيهما برشك ، لكن امتنعت عليهما لوجود زيرم بها. لذلك أقاما بمدينة الجزائر حيث كانا ينشران العلم بها ، في هذه الأثناء كان السلطان أبو يعقوب يوسف المريني يومئذ محاصرا لتلمسان و انتشرت جنوده في اغلب عواصم القطر الجزائري ، لهذا السبب ارتحلا الأخوان إلى مليانة عاصمة مغراوة ، كان بها آنذاك الكاتب منديل بن محمد الكيناني ضابط جباية مرين و صاحب أشغالهم ،فعرف منزلتهما، و قربهما منه حيث اتخذهما لتعليم ولده محمد.

وبعد وفاة السلطان أبو يعقوب المريني ووقع الصلح بين بني مرين وبني عبد الواد ،انتقل الأخوان صحبة الكناني و حلا بتلمسان ، فاتصلا بالسلطان أبي حمو موسى الأول.

لما انتصر هذا الأخير على بلاد مغراوة و داع صيته ، كان آنذاك أبو زيد عبد الرحمن بن الإمام هو سفير السلطان إلى زيرم ببرشك ، واستأذن السلطان في اخذ ثأره منه فأذن له،

و اخذ أبو زيد التردد على زيرم ببرشك حتى تمكن منه و ثار لأبيه و كان ذلك سنة 708ه/1308م حيث صارت برشك لبني زيان.

استمرا الأخوان العالمان على صحبتهما لأبي موسى الأول بتلمسان إلى وفاته ، بعدها تقربا من ولده السلطان أبو تاشفين الأول مدة سنتين ثم غادرا إلى المشرق و ذلك سنة 720ه/1320م ، حيث اجتمعا هناك بأكابر العلماء.

عادا ابنا الإمام من المشرق و كانا قد دعى صيتهما و اشتهرا بالتبحر بالعلم و عرفا بالإمامة و الاجتهاد المطلق ، فانهال عليهما الطلبة حتى غصت مجالسهما العلمية.

و لما استولى السلطان أبو الحسن على تلمسان رفع من منزلتهما و اختصهما بالشورى في بلدهما ، فلما خلع السلطان أبو عنان طاعة أبيه السلطان أبي الحسن و نهض إلى فاس ،ولاه قضاء مكناسة و هلك حجا بمكة عند طواف القدوم سنة 764ه.

عاش ابنا الإمام في كنف السلطان أبي تاشفين الأول الذي كان يبالغ في إكرامهما ، حيث لازماه في قصره إلى أن استشهد في وقعة سقوط تلمسان في يد بنو مرين سنة 737ه/1337م.

و بعد استيلاء السلطان أبي الحسن المريني على تلمسان جاء بابني الإمام إلى قصره ورفع من شانهما ، كما احضرهما معه وقعة طريف بالأندلس أخر سنة 740ه/1340م.

و كانت وفاة أبي زيد في العشر الأوسط من رمضان سنة 741ه ،أوائل مارس 1340م و دفن ببلدته برشك. ازداد مقام أخيه رفعة عند السلطان أبي الحسن فعاش في أكنافه ، إلى أن شغل السلطان بحوادث تونس و القيروان ، وهنا استطاع أبو موسى الرحيل إلى بلده ، فأقام بها قليلا حتى وفاه اجله في الطاعون الجارف سنة 749ه/1349م.[1]

1) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ،ج2، دار مكتبة الحياة بيروت ص 152-156.

-الوصف المعماري للمدرسة:

علمنا من المصادر أن الملوك الزيانيين ابتنوا للأخوين المدرسة بناحية المطمر من تلمسان لطلبة العلم ، و ابتنى لهما دارين عن جانبيهما و جعل لهما التدريس فيها في إيوانين معدين لذلك،إلا انه بعد الحفائر الأثرية تم العثور على لوحتين من الرخام تحمل كل واحدة منهما كتابة ، احدهما في حالة جيدة من الحفظ ، أما الثانية فهي مكسرة طوليا ، وضعت هاتين اللوحتين في مقر البلدية حيث حفظت هناك .

الثانية فهي مكسرة طوليا .

مقاس اللوحتين(50سم 43xسم) ،تحتوي كلاهما على 15 سطرا ،و الثانية هي استمرارية للأولى و هذه الكتابة وقفية لكل من الزاوية و المسجد و المدرسة .

ومن حسن الحظ أن اسم الواهب و السنة واضحتين و هي كالتالي:

أمير المؤمنين المتوكل على رب العلمين أبو حمو ابن مولانا

الأمير ابن يعقوب ابن الأميرأبي زيد ابن مولانا الأمير آبي زكريا

ابن مولانا أمير المسلمين أبي يحيا يغمراسن بن زيان و صلى

الله مفاخره و خلد أثار الكريمة و مآثره على هاذه الزاوية المباركة

المقامة علىضريح والد المذكور برد الله ضريحه فمن ذاك

ما بداخل تلمسن المحروسة جميع الطاحونة الملاصقة للزاوية

و الثلاثون حانوتا المعروفة بالصاغة القديمة و الكوشة التي بمنشر

الجلد و حمام الطبول و فرن مقسم الما و فندق العلية و بخارج

البلاد المذكور جميع الرحا السفلى بفعله بنى معلى و النصف

شايعا في روض المنية الكاينةبالرميل و زيتون تيفداو ارض

الزيتون المذكور ثم معصرته و رحاها و جميع المحبس

ملكه و شهرة الجميع تغنى على التحديد تحبيسا تاما مطلقا

عاما ووقفا ثابتا ابديا ليصرى ما يستفاد من الحبس المذكور

على معلمين العلم و طالبيه و إمام و مؤذن

عام ثلاثة و ستين وسبع ماية......عام خمسة و ستين.[1]

1) Brosslard(ch):Inscriptions arabes de Tlemcen,p 169-170:انظر

لكن الأسطر الأخيرة للكتابة لم تكن واضحة ، لكن ما لاحظه بروسلار آنذاك هو أن كلمة مسجد و مدرسة تظهران المرة تلوى الأخرى ، هذا ما يدل أن المؤسستين تدخلان ضمن الأوقاف الأخرى.[1]

حسب رأي مارسي فان المدرسة كانت تحتل المساحة الواقعة في الركن الشرقي للمسجد ،وأنها كانت تتألف من قاعتين كبيرتين يتلقى فيها الطلبة دروسهم على يد الشيخين ابني الإمام،ومسكنينلهما،لكن لم يبقى من هذه المجموعة المعمارية غير المصلى الصغير المشرف على الصحن الصغير الذين كانا تابعين للمدرسة. بنيت هذه المدرسة(15) سنة قبل مسجد سيدي بلحسن ،يظهر في مسجد أولاد الإمام الفن المغربي الذي يوحي بالهام مليء بالدقة و الجمال .

فقد مسجد أولاد الإمام معظم زخرفته، وهذا بعد أن استعمل كمدرسة قرآنية، وهذا حتىسنة 1968حيث استرجع المسجد وظيفته الطبيعية.[2]

1. Brosslard(ch) : inscription arabe de Tlemcen ,p 171 انظر:

2-Bourouiba(R) : L'art religieux musulman en Algérie ,2eme édition S.N.E.D, Alger, 1981 ,p 171 انظر :

التكوين المعماري للمسجد:(المخطط رقم 4)

***المدخل**:(المخطط رقم 5)

لم يكن يحتوي المسجد لا صحن و لا لمدخل،بل وجد به ثلاثة أبواب ، واحدة في الجدار الشرقي وسط البلاطة الأولى و الباب الثانية تؤدي إلى المئذنة و الباب الثالثة مستحدثة فقد فتحت مكان النافذة الوسطى في الجدار الشمالي و بناءا لأعمال التهيئة التي عرفها المسجد أضيف له بابين خارجيين(الصورة رقم 1).

❖ **الصحن**:

ذكرنا من قبل أن المسجد كان يفتقر لصحن إلا انه استحدث له صحنا جد بسيط ،كما جعلت به ميضأة في الناحية الغربية للصحن و كما فتحت أيضا غرفة صغيرة من الناحية الجنوبية الشرقية، خصصت لتعليم القران .

❖ **المصلى**:(الصورة رقم 2)

يحتل المسجد مساحة56.7م^2 و مقاساته (9م X6.3م)سمك الحائط فيه يساوي مترا ،تنقسم قاعة الصلاة إلى ثلاثة (3) بلاطات عمودية ، البلاطة الوسطى تبلغ 3م ،أما البلاطات الجانبيةانظر (الصورة رقم 3) فتبلغ 2.7م ،تغطيها سقوف مسنمة من الخشب مجردة من أي زخرفة،عبارة عن لوحات خشبية مسطحة ،مثبتة بعوارض خشبية (الصورة رقم 4)، (الشكل رقم1) ذات عقود نصف دائرية بسيطة تتكئ على دعامتين .

هنا نلاحظ الرجوع إلى بساطة العقود التي عرفت قبل الفترة المرابطية ، في نفس الوقت اختفت العقود المفصصة المميزة للفترة المرابطية[1]

بالنسبة للدعامات فهي مربعة حيث يبلغ طولها 80سم و عرضها 70سم ،و يبلغ طول العمود الوحيد الموجود في بيت صلاة مسجد أولاد الإمام 45سم ،و نجده في الزاوية الشمالية الشرقية لبيت الصلاة .

1-Bourouiba(R) :L’art religieux musulman ,p 176.

❖ **المحراب**:(الصورة رقم 5)،(المخطط رقم 6).

جعل المحراب كغيره في واجهة القبلة من الرواق الأوسط ،عرض الفتحة يبلغ 1.18م و عمقه 1.70 و هو يحتوي على ثلاث نوافذ ذات أقواس نصف دائري،و له إطار فيه بقايا تراكيب جبسية خفيفة ، جامعة بين الدقة و الفخامة شبيهة ،بما شوهد في زخرفة إطار محراب سيدي أبي الحسن (الصورة رقم 6) (الشكل رقم 2).

أما قبة المحراب ، فهي مضلعة ، و مزخرفة بالتماثيل المعلقة المدلاة في جوانبها ، و ينتهي المحراب بقبة صغيرة مؤلفة من 16 تخريما ،وجدت كتابة كوفية تحمل البسملة و النهاية فيها غبر واضحة،و لكن هذه القبة ذات ميزة خاصة و هي أن العمودين الذين يحملانها تجمع بين قنطرتان وضعت إحداهما فوق الأخرى، فالقنطرة الأولى فإنها محشاة بتقاطيع شبيهة بالتقاطيع التي تشاهد في محراب سيدي أبي الحسن و أما القنطرة الثانية فإنها محشاة بنقوش بشكل السعف كما هو الحال في محراب جامع سيدي أبي مدين.

***المئذنة**:(الصورة رقم 7).

إن مئذنة مسجد أولاد الإمام ماهي إلا مثال رائع للرشاقة و الجمال و هي تحتل الزاوية الشمالية الشرقية ، يبلغ ارتفاعها(12.25م) ، وهي تأخذ شكل أبراج مربعة تتكون من بدن وتنتهي في أعلاها بنتوء بارز يفصل الشرفة عن –التي تحمل إفريز من العقود الصماء- عن بقية البدن الذي تتوجه شرفات مسننة ويقتصر عددها على أربعة شرفات ركنية فقط .

أما تخطيطها الداخلي فهي تتكون من نواة مركزية مربعة يلتف حولها سلم من 44 درج ، عرضها 0.55م و عددها أربعة في كل دورة، يبلغ ارتفاع البرج الرئيسي لها 9.65م و غرفة المؤذن يبلغ ارتفاعها 3.45م.

بنيت بواسطة الآجر ذو اللون الوردي المحمر،و هي خالية من المعينات الهندسية ، فتزينها من الواجهات الشمالية و الجنوبية و الشرقية لوحتين مستطيلتين فوق بعضهما البعض و طولهما اكبر من عرضهما .

و لوحة مماثلة على الواجهة الغربية تقابل اللوحات العلوية للواجهات الأخرى .فاللوحة السفلية ذات إطار من الأجر يضم قوسا كبيرا ذو ثلاثة عشر فص دائري على الواجهة الشمالية و قوس ذو فصوص دائرية و منكسرة متناوبة على الواجهتين الجنوبية و الشرقية و يكسو كوشات هذه العقود خزف قيراطي ذو اللونين الأخضر و الأبيض .

أما اللوحة الثانية و التي تعلو اللوحات السابقة ، فتضم على كل واجهة قوسين مفصصين ، لكل منهما خمسة فصوص دائرية و يقومان على عمود مشترك .و يتوسط كل عقد فتحة مربعة صغيرة ، و كوشتاه مكسوة بالخزف . ويحيط بكل لوحة إطار أول من الآجر ثم إطار ثاني من الخزف، و تنتهي المئذنة بنتوء بارز مطعم بالخزف ثم شرفة المئذنة و هي ملساء و تتوجها أربعة شرفات ركنية.(الصورة رقم 8).

وفي غياب الشواهد الأثرية ،يصعب علينا التعرف على دور المدرسة الفكري و القيام بدورها في المجتمع في التعليم و التأليف ،لقد استمرت مدرسة أولاد الإمام أداء رسالتها حتى القرن العاشر الهجري و عين فيها السلطان للتدريس فطاحل العلماء مثل ما سبق و أن ذكرنا أولهما أبناء الإمام ، اللذان كانت لهما شهرة في أقطار المغرب و لقد تركا تأليف حدث بها المؤرخون ، ومن تأليف أبي زيد شرحه علي ابن حاجب الفرعي و اخذ عنهما جماعة من كبار الأئمة كالشريف التلمساني و المقري ،و الخطيب ابن مرزوق و قال ابن العباس الونشريسي في حقهما "و إما بنو الإمام فاعلاهم طبقة الشيخان الراسخان الشامخان العالمان المفتيان الشقيقان الفقيه العلامة أخر صدور أعلام المغرب بشهادة أهل الإنصاف شرقا و غربا أبو زيد و العلامة النظار أخر أهل النظر و جامع أشتات المعارف أبو موسى ابنا الإمام ".[1]

كما تولى التدريس بهذه المدرسة عدد كبير من العلماء الذين داع صيتهم نذكر منهم :محمد ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الإمام أبي الفضل التلمساني ، الذي بدوره تخرج عليه العديد من كبار علماء ذلك العصر من أمثال ابن مرزوق الكفيف و عبد الجليل التنسي من تأليفه التاريخية "نظم الدر و العقيان في دولة أل زيان".[2]

و أذا أخذنا التنسي كمقياس لمستوى علماء ذلك العصر أي خلال القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر ميلادي ، نجد تعدد المواد المدرسة في المؤسسات العلمية و الدينية ، و كانت تشمل علوما متنوعة كالفقه و التفسير و الحديث و علوم العربية ، و علوم أخرى كالحساب و المنطق .

و من هنا نستنتج أن الجانب التعليمي كان كبير جدا و ذلك في سبيل نشر الثقافة العربية الإسلامية.

---

1) احمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ،كلية الدعوة الاسلامية ،طرابلس، ط1،1989، ص 248

2) د/صالح بن قربة:تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر ،ص2007ص

2-المدرسة التاشفينية:(المخطط رقم7).

تأسست هذه المدرسة من طرف السلطان الزياني أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو موسى الأول في الفترة مابين (718ه/1318م)و(737ه/1337م) و تعد ثاني مؤسسة زيانية أسست بالمغرب الأوسط. [1]
ويذكرها التنسي بقوله[2]:"......وحسن ذلك ببنائه بإزاء الجامع الأعظم ...."
لذلك فمن قول التنسي نستنتج أن التاشفنية تقع بإزاء المسجد الجامع جنوبا ، فهي توجد في مجال يعتبر النواة الأولى بعد جامع أغادير الذي أسسه إدريس الأول خلال النصف الثاني من القرن الهجري.
و تبين من أن اختيار مكان التاشفنية لم يكن صدفة بل كان لاعتبارات أخرى و ذلك في رغبة مؤسسها للاستفادة من المجال الحيوي الذي بنيت فيه حتى تستطيع المدرسة أداء رسالتها التعليمية بوجودها في فضاء يضم أقدم المباني (القصر-الإدارة.....)[3]
ليس لدينا تفاصيل دقيقة عن ظروف تأسيس المدرسة، إلا إشارات من بعض المصادر، نذكر كتاب (نفح الطيب) بقوله:"رأيت مكتوبا بأعلى دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التي بناها أمير المسلمين ابن تاشفينالزياني ،و هي من بدائع الدنيا هذه الأبيات التي أوردها المقري[4]:

وبديع اتقاني و حسن بنائي	انظر بعينك مهجتي و سنائي
من نشأتي بل من تدفق مائي	و بديع شكلي و اعتبر فيما ترى
صاف كذوب الفضة البيضاء	جسم لطيف ذائب سيلانه
فغدت كمثل الروض غب سماء	قد حف بي أزهار وشي نمقت

1) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تح د/إحسان عباس ج5،دار صادر بيروت 1388ه/1968م ص223-224.
2) أبو عبد الله محمد التنسي: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان ، تحقيق محمود بوعياد ، الجزائر 1985 ص 141.
3) د/صالح بن قربة:تاريخ الجزائر في العصر الوسيط الوطنية ،ص144، 145.
4) المقري:نفح الطيب، ج6، ص 47.

و تعد المدرسة التاشفنية من أفخم المدارس في تلمسان و ذلك حسب ما ذكره المؤرخون ، و ظلت قائمة حتى بعد الاحتلال الفرنسي ، لكنها تعرضت للهدم و للتخريب سنة 1873 من قبل الإدارة الفرنسية.لكن قبل التدمير قام المهندسDuthoit مع الرسام Danjoy بالرفع المعماري والفني ، حيث رسمت لها بعض من فسيفسائها،و إحدى واجهاتها.[1]

و يعتبر تخطيط المدرسة التاشفينية ذو ميزة لا تشاركه فيه أية مؤسسة أخرى ،فهو فريد من نوعه حتى في المغرب الإسلامي، و إذا كان هناك من تخطيطات لبيوت الصلاة في المدارس المرينية في فاس قريبة الشبه بتخطيط المدرسة التاشفينية فهي مدرسة أبي الحسن في سلا ،فان تنظيمها المعماري يختلف عن أي تنظيم لأي مدرسة أخرىمرينية..[2]

1) Duthoit : Rapport sur une mission scientifique en Algérie (, archives des missionsscientifiques1873, 3eme série), t1, p 325.

2) Golvin (L) :La madrasa médiévale ,edisud , 1995,p 2,3.

1- المخطط العام للمدرسة:

شيدت المدرسة على أساس محورين رئيسيين احدهما شمالي شرقي /جنوبي غربي، أما الثاني فهو شمالي غربي/جنوبي شرقي يخترق محراب المصلى، و يحتل مساحة (9.5x21م).[1]

❖ **-المدخل**:(الشكل رقم 3).

يدخل إلى صحنها من بابين كبيرينفي ضلعيها الجنوبي الغربي و الشمالي الشرقي بطريقة متقابلة متناظرة و محورية مع بعضها و هذه ميزة لا تتوفر في باقي المدارس المرينية، و قد وضع لها الرسام Danjoy تصميم لإعادة ترميمهاو ذلك في سنة 1873.

❖ **الصحن**:

أما الصحن فهو مستطيل تحيط به 7 أروقة من جهاته الأربع ، هذا ما يجعلنا نظن انه من الممكن انه وجد طابق أعلى لكن ليس لدينا أي معلومات في هذا السياق ، من الجهتين نجد قاعتين الطول اكبر من العرض و ضيقة يمكن أنها استعملت بيوت إقامة الطلبة.

❖ **بيت الصلاة:**

يشغل بيت الصلاة المدرسة التاشفينية الجهة الجنوبية الشرقية حيث نجدها تتألف من ثلاثة أقسام ،و يعتبر الأوسط أكثر اتساعا وجاء مربع الشكل، تتراجع زواياه الأربعة و تتقلص لتحول في نهاية المربع إلى مثمن حيث يجلنا نضع افتراض و جود قبة و ذلك حسب التخطيط الذي وضعة المهندس Duthoitو قد غطيت القبة وفقا للتقاليد المغربية بهيكل بنائي جاء على شكل هرمي حيث تغطيه من الخارج قراميد لامعة و ملساء .

تتميز بيت الصلاة المدرسة التاشفينية بعرض اكبر من العمق بمرتين و نصف و مقسم إلى ثلاثة أجزاء بعقدين عموديين على القبلة ، و يتصدر الجزء المركزي المربع تجويفة المحراب على شكل مضلع بارز إلى الخارج يغطيه سقف خارجي منحدر هرمي قاعدته ثمانية تعتمد على دعامات ثلاثية الوجه ، بينما اتخذت القاعتان الجانبيتان شكلا مستطيلا يغطي كل منهما سقف منحدر قاعدته ثمانية غير منتظمة ،الشمالية الشرقية منها نسبة طولها 3/2 و الجنوبية الغربية يرجح انه كان يشغلها ضريح و كانت ترتفع مئذنته في زاوية المبنى .

---

1) Koumasahmed etNafaCherazade : L'Algérie et son patrimoine, éditions du انظر : patrimoine. Paris2003.p 92. :

بنيت ميضأة المدرسة التاشفينية بالجهة الجنوبية الغربية و جاءت ملتصقة ببيت الصلاة ،وتتألف من هيكل بنائي ذو شكل مستطيل يتوسطه فناء يأخذ نفس الشكل ،يحيط به رواق يحتوي على بيوت الخلاء.

ويعتبر تخطيط المدرسة التاشفينية فريدا من نوعه، بحيث أن التكوين المعماري لبيت الصلاة الذي يتكون من أقسام ثلاثة تتصل ببعضها البعض بواسطة عقود كبيرة ، تتشابه بالعمارة الشرقية و خصوصا المدارس الشامية ومن بينها مدرسة معرة النعمان595ه /1199م، و السلطانية 620ه -1224م.[1]

1-د/عبد العزيز لعرج: النظام المعماري لمدارس المغرب، المقال السابق، ص 97-112-113.

2-الناحية الزخرفية :

تميزت زخرفة المدرسة التاشفينية حسب مارسي بدقتها فقد تنوع بها التلبيس الخزفي الذي كان يؤطر حنية المدخل الرئيسي و يحتوي الإطار الأول علىزخارف هندسية عبارة عن أطباق نجمية ذات 12راس كما كسيت بنيقة العقد بفسيفساء خزفية تتألف من أطباق نجمية مختلفة الأحجام فمنها ذات 16 رأس و أخرى اصغر منها ذات 8 رؤوس،و يحيط بالعقد شريط ذو شكل انسيابي ،كسيت الفراغات مابين الفصوصبزخارف نباتية متشابكة تتفرع منها مراوح نخيلية . (الشكل رقم4).

كما وجدت أيضا خاصية فريدة من نوعها ، حيث زخرفت أرضية الصحن و القاعات بزخرفة نباتية و هندسية في أن واحد ، أما عتبة القاعة المقابلة لبيت الصلاة و كذا المساحة التي تصلنا إلى الصحن بزخرفة نباتية عبارة عن أشكال نجمية متصلة فيما بينها بمجموعة من الحلقات ذات اللون الأبيض .

إن أرضية بيت الصلاة من المرجح أنها فقدت زخرفتها قبل أن تهدم المدرسة ،و لم يتبقى منه إلا زخرفة ذات عناصر نباتية متشابكة ، وجدت على عتبة المدخل (بيت الصلاة)،حيث يرى مارسي انه من الممكن أن تكون العتبة الوحيدة التي تميزت بهذه الزخرفة.[1]

و لقد تقدمت المصلى فسقية ذات الشكل صدفي مصنوعة من المرمر، من خلالها كانت تتدفق المياه وقد تأطرت بزخرفة ضفيرية نباتية رقيقة ، حيث لم يكن لها نظيرا في المدارس المغربية ،إلا ما وجد في زاوية شلا قرب مدينة الرباط[2].(الشكل رقم 5).

لم يتبقى لنا منهذه المدرسة سوى لوحات من الفسيفساء بعضها محفوظ في متحف تلمسان و بعضها الآخرفي المتحف الوطني للآثار القديمة ،(الصورة رقم9)،تتألف هذه اللوحات من قطع خزفية صغيرة تتخذ أشكالا مختلفة ،تشكل بالقالب ثم تحرق حرقا أوليا بعد إتمام عملية التجفيف ، بعد ذلك تطلى بأكاسيد تلوينية

---

1) انظر: .Marcais(G) : Remarques sur les medersas funéraires en berberie, p 276.

2) جورج مارسي:مدن الفن الشهيرة ، ترجمة سعيد دحماني ، دار النشر التل 2004 ص55.

و تحرق للمرة الثانية ، و في الأخير تجمع هذه القطع وفقا لتخطيط بارع و يصب عليها قدر من الملاط لدعمها و تثبيتها[1].

هذه اللوحة قوام زخارفها تتمثل في مشبكات و أطباق نجمية وزخرفة نباتية عبارة عن أوراق نخيلية ، استعمل فيها اللون الأبيض و الأزرق و الأسود و الأخضر و البني.

من الصعب علينا الإحاطة بتفاصيل تخص هذه المؤسسة فيما يتعلق بإدارتها ، أو نظام تسيرها تربويا و عن طريقة التدريس بها و عن العلماء الذين درسوا بها و ذلك لاندثارها و اختفاء هياكل المدرسة ما عدا مخططها أو التصميم الهندسي و بعض رسومها الهندسية للبلاطات الخزفية التي كانت تكسو واجهات جدرانها ، و التي قام برسمها كما ذكرنا من قبل احد المهندسين الفرنسيين قبل هدمها .

بما أن السلطان أبو تاشفين كان يتمتع بمآثر ،الذي جعل التاشفينية تقوم برسالتها ، حيث كان ينزل منازل تليق بالعلماء و الأدباء و يغدق عليهم بالأموال .

فوصفه يحي ابن خلدون قائلا:" لم يكن في معاصريه احد مثله علما بمذهب مالك و حفظا له و لأقوال أصحابه و عرفانا بنوازل الأحكام و صوابا في الفتية و قد نسب إليه المازوني في كتابه (الدرر الكامنة)مجموعة من النوازل".

ومن بين العلماء الذين استقبلهم و أكرم وفادتهم، أبو العباس بن عمر البجائي الذي قدم من بجاية "فانزله منزل الكرام ، و سأله عن مقدمه فاخبره بأنه جاء تاجرا ، فعرف به أبو زيد بن الإمام أمير المسلمين فرفع عنه تكلفة مغرمه ،و مغرم من جاء معه و كان مائتي دينار ثم أعطاه زيادة على ذلك مائتي دينار". [2]

و مهما يكن الأمر فان التاشفينية ساهمت في تقدم الحركة الثقافية بتلمسان بدليل إيوائها للطلبة و احتضانها لحلقات العلم و ذلك لوجود صحن يحف به من ثلاث جهات –غير جهة المصلى –حجرات معدة لسكن الطلبة.،فكان تصميمها مزدوج المعالم فهو عبارة عن مسجد مدرسي ، كما تتوفر المدرسة على منارة للأذان ، وهذا التنوع في التصميم جعل التاشفينية لها صفات منفردة بها عن باقي المؤسسات الأخرى.

1- انظر: Bourouiba (R) :L’art religieux musulman p, 199.

2- يحي بن خلدون: بغية الرواد،ج1 ،ص 75

3-المدرسة اليعقوبية:

بنيت المدرسة في حدود (763-765ه/1361-1363م) على يد السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791ه)(1358-1388م) على ضريح والده يعقوب و عميه أبي سعيد عثمان و أبي ثابت، الذين تواليا حكم مدينة تلمسان في الفترة السابقة.

تقع اليعقوبية بالقرب من المقبرة الزيانية التي تضم ضريح أبي يعقوب والد السلطان أبوحموموسىالزياني.فاختيار موقع اليعقوبية لم يكن وليد صدفة بل خضع لاعتبارات أخرى و هي أن يضم هذا الفضاء أقدم المباني التي اندثر معظمها.[1]

كان السلطان أبي حمو موسى الثاني ولوع بتشييد المباني من مساجد و مدارس حيث تم تأسيس هذه المدرسة مباشرة بعد دفن والده و قد دشنت في صفر سنة 765ه/1354م .[2]

ليست لدينا معطيات حول ظروف تأسيسها ، لكن الزيانيون كانوا يحتفلون عند تشييد المباني الكبرى ، فكان ينتقل السلطان رفقة العلماء و أعيان الدولة لتدشين المشروع و ذلك للأهمية التي يولونها لهذه الأعمال .

كما أكثر عليها الأوقاف و رتب فيها الجرايات و لقد كان الإمام أبو عبد الله الشريف التلمساني واحد من أكابر مدرسيها الذي قدم من فاس.و لقد اشتهرت باليعقوبية نسبة إلى والد السلطان أبي حمو موسى -أبي يعقوب- بعدما اكتملت عمارتها دعيت باليعقوبية ، كما أطلق عليها اسم "سيدي إبراهيم المصمودي" الذي توفي و دفن بها سنة 805ه-1402م .

و ظلت المدرسة تعرف بهذا الاسم إلى يومنا هذا ومن سوء الحظ أن هذه المدرسة قد اندثرت كغيرها من المدارس.[3]

---

1) د/صالح بن قربة: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط ،ص 150.

2) يحي ابن خلدون: بغية الرواد ج2 ص 136.

3) د/صالح بن قربة : المرجع نفسه ص 152.

تضم اليعقوبية لائحة كبيرة من كبار العلماء الذين عرفوا داخل و خارج مدينة تلمسان بتدريس الفقه و العلوم الدينية إضافة إلى قربها من المسجد الجامع ، هذا ما جعل الطلبة ينتقلون بين المؤسستين بكل سهولة إلى جانب تنافس العلماء على التدريس بها .

فقد وصفها صاحب(زهرة البستان):"فأقيمت مدرسة مليحة البناء و واسعة الفناء بنيت بضروب من الصناعات ووضعت في أبدع الموضوعات ، سمكها بالا صبغة مرقوم ، وبساط أرضها بالزليج مرسوم غرس بإزائها بساتين و....صنع فيها صهريجا مستطيلا و على طرفيه من الرخام خصتان يطردان مسيلا فيالها من بنية ما أبهجها......"

لقد ساهمت اليعقوبية في تنشيط الحركة الثقافية في تلمسان ، لإيوائها الطلبة ، و احتضانها للحلقات العلمية ، التي كانت لا تتم بمعزل عن جامع تلمسان الذي كان بمثابة جامعة مثل القرويين بفاس و الزيتونة بتونس.

لم يمنع هذا التداخل بين المدارس و المساجد في تكوين و أعداد علماء و قضاة و خطباء الذين نشروا اللغة العربية و ساهموا في الحياة الفكرية ، إلى جانب تثبيت المذهب المالكي بالمغرب الأوسط .

ومن العلماء الذين درسوا الفقه احمد بن يحي بن محمد عبد الواحد بن علي الونشريسي الذي تخرج عليه أمثال الفقيه ابن عباد ابن مليح اللمطي ، و الشيخ ابن زكريا السوسي ....

لكن بفعل التحولات التي عرفتها البلاد ، أصابت المدرسة نوعا من الفتور ، وجعلها عرضة للاندثار.[1]

1) د/صالح بن قربة : المرجع نفسه ص 15

خلاصة الفصل:

تعتبر المدارس الزيانية ،من النماذج التي تنتمي للطراز المحلي تتشابه في تركيبها المعماري بمدارس مدينة فاس حيث أن تكوينها المعماري قائم على نواة مركزية و هي الفناء و يحيط بها رواق تفتح عليه حجرات الطلبة ، و بالجهة الجنوبية يقوم المصلى و هو قاعة الدرس نفسه .

انشات معظم هذه المدارس في مواقع من المدينة تتميز بكثافة معمارية كما هو الشأن لمدرسة أولادالإمام و المدرسة التاشفينية ، باستثناء مدرسة سيدي أبي مدين ، فقد انشات في موضع لم يكن مزدحما بالمنشات المعمارية.

إن تعرض تلمسان و الدولة الزيانية إلى هجمات جارتيها الحفصية في الشرق و المرينية في الغرب الذي كان ينتهي بالاستيلاء عليها وحصار المدينة كان يتبعها تهديم البنايات ،هذا ما جعل الحكام ينشغلون بتامين وجودهم و هذا ما أدى إلى قلة المباني و المؤسسات و المرافق العامة التي شيدت من طرف بني عبد الواد ،ورغم ولوع الحكام الزيانيين بالعلم وبناء المدارس التي بلغ عددها ثلاثة كلها في تلمسان التي كانت عاصمتهم آنذاك ،إلا أنها اندثرت جميعها .

الفصل الثاني

المدارس المرينية (723 -759هـ/1322 -1357م)

- تمهيد

1 -مدرسة سيدي بومدين بالعباد.

2 -مدرسة سيدي الحلوي

-خلاصة الفصل.

***تمهيد:**

ينتسب بنو مرين إلى مرين بنو ورتاجن بن ماخوخ الزناتي ،كانوا يسكنون في زاب افريقية[1]. و قد شاركوا في الغزوات إلى جانب الجيوش الموحدية .

لكن بعد انهزام الموحدين في معركة العقاب بالأندلس عام 609ه/1212م ،و ضعفت الدولة ، هذا ما زاد من طموح المرينين في تكوين دولة على ارض المغرب الأقصى ، أخيرا استطاع عثمان بن عبد الحق المريني أن يفرض وجوده على مناطق عديدة مثل فاس و تازا.

و بعد نصف قرن من الحروب، استطاع المرينيون بقيادة أبي يوسف يعقوب الاستيلاء على عاصمة الموحدين "مراكش" و هذا عام 668ه/1269م.[2]

و اخذ نفوذ بني مرين ينمو حتى ملكوا بلاد المغرب و الأندلس، و كان استقرارهم بمدينة تلمسان.

حط السلطان المريني رحاله غرب تلمسان ، وأحكم الحصار عليها ،حيث أحاطها بأسوار ،غير أن هذا الحصار أضاق بأهل البلاد و خاصة عند غلاء الأسعار و لقد أشار يحي ابن خلدون إلى ذلك بقوله:"بلغ فيه ثمن صاع قمحهم إلى دينارين و ربع الدينار، و صاع شعيرهم إلى نصف ذلك ومع هذا فهم صبروا بقضاء الله ورضاه"[3].

وحسب ما يصف المؤرخون كان السور يشبه هالة القمر ، فهو جدار عال يحيط به خندق عميق تتخلله ممرات ، تستخدم أثناء الهجمات.[4]

---

1) يقصد بها المناطق الواقعة جنوبي المغرب الأقصى ، انظر القيرواني (أبي عبيد الله محمد) في المؤنس في أخبار افريقية و تونس ، المكتبة العتيقة ،تونس 1967،ط3،ص 145.

2) ابن خلدون : كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ،ط بولاق...... جزء 7، ص 342.

3) ابن خلدون (يحي):بغية الرواد، ج1، ص 210.

4) بورويبة(رشيد) ،دهينة (عطاء الله):الجزائر في التاريخ من الفتح إلى بداية العهد العثماني م.و..ك الجزائر 1984 ص373

بينما كان الخير وافرا في معسكر المرينيين ، كانت مدينة تلمسان في هذه الأثناء تعاني من الجوع ، و عند حلول فصل الشتاء بنا أبو يعقوب قصرا و مسجدا و مبان و عمارات أحيطت بالسور سميت بالمنصورة ، تيمنا بالنصر، و سميت كذلك تلمسان الجديدة.[1]

أما بالنسبة لتحديد سنة تأسيس مدينة المنصورة فقد اختلف الباحثون في ذلك ، فمنهم من يذكر سنة 698ه/1229م، و راح البعض الأخر مثل المؤرخ السلاوي إلى ذكر سنة 702ه/1303م كتاريخ التأسيس.[2]

لكن هذه السنة أي (702ه/1303م) يرجعها بعض المؤرخين إلى نهاية أعمال البناء، علما أن السلطان أبو يعقوب أكد على تعمير مدينة تلمسان الجديدة بالمنازل و الدور، و جلب المياه عليها عبر السواقي، وإقامة الأسواق، كما بنا مارستانا لمداواة المرضى و جرحى الحروب.[3]

لم تقتصر المباني المرينية على الجانب الدفاعي فقط ،بل اهتم المرينيون ببناء المدارس ، حيث انشأوها بمفهوم جديد حيث لم تكن في المغرب قبل العصر المريني ، مدارس للتعليم العالي المتخصص ،و سكنى للطلبة ، حيث كانت تلقى الدروس بالمساجد و بصفة خاصة بمسجد القرويين.

لم يقف سلاطين بني مرين عند الاهتمام ببناء المدارس في عاصمتهم فاس فقط ، و إنما انشأوا المدارس في سائر بلاد المغرب (الأقصى و المغرب الأوسط).[4]

---

1) بوروبية(رشيد)،دهينة (عطاء الله):نفسه ص 373

2) السلاوي (أبو العباس احمد):الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى ،ج 3 ،دار الكتاب ، الدار البيضاء 1955 ص 79.

3) ابن خلدون (عبد الرحمن): ج 7،ص 452

4) د/محمد عيسى الحريري:تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني ،دار القلم للنشر و التوزيع ،ط1 ،1405ه/1985م،ص 324،325.

1-مدرسة سيدي بومدين بالعباد:(المخطط رقم8)

تقع المدرسة ضمن مركب عمراني في قرية العباد المتواضعة انظر (المخطط رقم9)، و هي إحدى المباني التي شيدها السلطان أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان المريني و ذلك سنة 747ه/1347م لتكون أول مركز علمي و ثقافي بمدينة تلمسان ،إلى جانب المدارس التي كانت متواجدة آنذاك.

و لقد أشار ابن مرزوق إلى هذا الحديث قائلا "........و بالعباد ظاهر تلمسان و حذاء الجامع الذي قدمت ذكره ،و بالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب اختلاف البلدان"[1]

أنشأت هذه المدرسة في ظروف سياسية متقلبة امتازت باقتحام المرينيين لتلمسان عاصمة بني عبد الواد حيث قتل سلطانهم أبو تاشفين 718ه/737م،فأصبحت تلمسان منطقة تابعة لمركز الحكم المريني بفاس[2] كما أطلق على المدرسة أيضا اسم " المدرسة الخلدونية" و لقد جاءت هذه التسمية من تعلم عبد الرحمن ابن خلدون بها[3].

تقع المدرسة إلى الغرب من المسجد الجامع، يفصلها عنه رواق معقود ، و قد ذكرت المدرسة و اسم مؤسسها و الأوقاف المحبسة عليها على لوحة رخامية مثبة في بدن الدعامة الأولى على يسار بلاطة المحراب العمودية بالجامع المجاور لها و نقرا عليها: "الحمد لله رب العالمين و العاقبة للمتقين ، أمر ببناء هذا الجامع المبارك و المدرسة المتصلة بغربيه مولانا السلطان الاعدل أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو الحسن........" [4]

1) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص 406.

2) محمد ابن عمرو الطمار :تلمسان عبر العصور ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984،ص 125.

3) انظر: Marcais (G)et (W)+ : Les monuments arabes de Tlemcen, fontemoiny, paris 1905, p 274.

4) بوروبية رشيد : الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية ,ترجمة إبراهيم شبوح ، الجزائر 1979 ،ص 83.

أما بالنسبة للكتابة التأسيسية فقد كتبت في شريط أعلى المدخل الرئيسية :"الحمد لله وحده أمر بتشييد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان عبد الله ابن مولانا أبي سعيد عثمان ابن مولانا أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق أيده الله و نصره عام تسعة و ثلاثين و سبعماية نفعهم الله به"[1]

أما تاريخ المدرسة يوجد ضمن مجموعة أبيات شعرية تزين رقبة قبة قاعة الصلاة بالمدرسة و يتألف من تسعة أبيات:

الحمد لله رب العالمين

1-الإسلام أمير المسلمينا ـــ بناني كي قيم لدي دينا

2-تفوق النظم بالنوم الثمينا ـــ أبو الحسن الذي فيه المزايا

3-بما أجرى به الأعمال دينا ـــ إمام لا يعبر عنه وصف

4-اقر إلى الأنام بها عيونا ـــ سليل أبي سعيد ذي المعالي

5-فاعلاه و أعطاه يقينا ـــ و قد سماه خالقه عليا

6-و إيمانا يكون له معينا ـــ أبان الصالحات منه دينا

7-خلون من السنين و أربعينا ـــ الشهر الربيع الثاني لسبع

8-محوله مقاصده فنونا ـــ إلى سبع ميين فدام سعد

9-على مرضاته دائما معينا ـــ و كان له الإله على الاتصال

من خلال هذه الأبياتفالمدرسة بنيت بتاريخ 7 من شهر ربيع الثاني عام 749ه/1347م،و تعبر عن تدين مؤسسها ، و تمسكه بالدين الإسلامي و سعيه في نشر الثقافة الإسلامية.

1) Brosslard (ch.) : Les inscriptions arabes de Tlemcen,(revueafricaine .N° 18) P.P,108-109انظر

1-المخطط العام للمدرسة:

صممت المدرسة فوق مسطح مرتفع، و يوصل إليها عبر درج صاعد من 15 درجة، نلج من خلالها إلى ساحة فسيحة تتقدم المدرسة.

تأخذ المدرسة شكلا مستطيلا ، يتوسطها صحن مكشوف ، تحف به بائكة من العقود من جهاته الأربع ،2.60x3.20 م و يتوسطه حوض مستطيل مقاساته تفتح على مجنبتي الصحن اثني عشر(12) غرفة صغيرة مخصصة لإقامة الطلبة ،بمعدل 6 حجرات في كل جهة ،و يعلوها نفس العدد في الطابق العلوي ، وهي مستطيلة الشكل (0.2x2م).تفتح على الرواق بالصحن بأبواب ضيقة معقودة بعقد متجاوز ، كما يعلو أبواب الحجرات نافذة صغيرة فتحت للتهوية و الإضاءة ، وتحتوي كل حجرة في داخلها على دخلة حائطية مستطيلة لوضع الكتب ، و ما يجلب الانتباه أن هذه الحجرات وزعت بطريقة متماثلة و متناظرة.

2-مكوناتها المعمارية:

❖ **المدخل**:(الصورة رقم11)

يعد المدخل من احد النماذج الرائعة للمداخل التذكارية التي بنيت خلال الفترتين المرينية و الزيانيةبتلمسان ، فهو يظهر بارزا عن الجدار الخارجي اتساعه 2.47م، مشكل من عقد متجاوز ، يحيطه عقد ثاني مفصص ب 21 فصا مشكلة من الآجر انظر (الشكل رقم6)، و شكلت الفراغات بين الآجر بقطع الزليج ذات اللون الأخضر ، و في نهايتي العقد نجد العنصر ألزخرفي المسمى ب" العنصر الثعباني".(الصورة رقم12).
يعلو القوس إطار مربع به زخارف هندسية مشكلة بالفسيفساء الخزفية ، أما الأركان من الجانبين تتمحور زخارفها من طبق نجمي مركب يلي هذا الإطار ، إطار آخر يتألف من زخارف قوامها عناصر على هيئة معينات إكليلية مشكلة من الخزف .(الصورة رقم 13).
يعلو المدخل طنف بارز مغطى بقرميد اخضر اللون مزجج ، يصل المدخل بالصحن عن طريق سقيفة صغيرة مقاساتها(2.50x1.35) تعتبر هذه السقيفة كهمزة وصل بين الباب و الصحن.

❖ **الصحن** :(الصورة رقم14).

مستطيل، عمقه أكثر من عرضه مساحته(14x16)، تكتنفه من جهاته الأربعة رواق بعرض 1.75 ، ترتكز العقود الحدوية المنكسرة على دعامات مستطيلة الشكل على الجانبين ارتفاعها 1.60 م ،و تختلف

المسافة الفاصلة بين الدعامة و الأخرى ، فعلى الجانبين تبلغ 1.40م ،وعلى الطرفين 1.40م، أما الوسطى فتبلغ 2.60م.

يتوسط الصحن حوض مستطيل مساحته (3.20x2.60م)، يستمد مياهه من نافورة رخامية مستطيلة أمام بيت الصلاة و ذلك عبر ساقية حفرت على الأرضية طواها 1.60م.

غطيت أرضية الصحن بقطع من الزليج متوسطة الحجم(سم10xسم10)مختلفة الألوان.

❖ **غرفة إقامة الطلبة**:(الصورةرقم15).

نجد بالرواقين الشرقي و الغربي مجموعة من الحجرات الصغيرة عددها 12 حجرة، أي 6 في كل جهة و يعلوها عددا مماثلا في الطابق العلوي.

اغلب الغرف على العموم مستطيلة الشكل مساحتها(2x2.80م) تفتح على الرواق بأبواب صغيرة معقودة بعقد منكسر متجاوز ارتفاعه1.86م و عرضه 0.72م ، تعلوه نافذة صغيرة للإنارة و التهوية عرضها 0.73م انظر (الصورة رقم17).أما السقففهو من الخشب جاءت على شكل صفوف متراصة انظر (الصورة رقم 18).

جعل لكل غرفة على جانب المدخل فتحة حائطية لغرض وضع الكتب أو المصباح.

❖ **المصلى**:

نجده في مؤخرة الصحن في الجهة الجنوبية ،ويعد بمثابة مصلى و قاعة درس في آن واحد ، عرض المدخل 2.40م و يغلق بمصراعين.

أما القاعة فهي مربعة الشكل طول ضلعها 5.70م ، يتوسط جدارها الجنوبي محراب مجوف خماسي الأضلاع ، تعلوه قبيبة صغيرة عرضه 1.50م، و عمقه 2م ، تتشكل فتحته من قوس منكسر ، تؤطره فصوص تشمل على زخارف جصية ، يستند هذا الأخير على عمودين رخاميين.(الصورة رقم19).

تعلو فتحتي المدخل و المحراب 6 نوافذ جصية مخرمة بعناصر زخرفية هندسية دقيقة.

غطيت القاعة بكاملها بقبة خشبية كبيرة ،نقشت في أسفلها أبيات شعرية تمثل الكتابة التأسيسية للمدرسة .

أما بالنسبة لجدران القاعة فهي مكسوة بزخارف جصية متنوعة منها الكتابية و النباتية و الهندسية ، أما الجزء السفلي للجدران مغطى بطبقة من الفسيفساء الخزفية.

❖ **الميضأة:**

بنيت خارج المدرسة في الركن الشمالي الغربي ،حيث تشكل تنوءا بارزا يقدر ب 5.50م ،تتركب من 8 غرف صغيرة الحجم و مستطيلة ،الركنية مقاساتها (1x1.60م)،بينما الأربع الأخرى مساحتها 1.40م كلها ذات مداخل صغيرة بعرض 0.50م ، تعلوها فتحات للتهوية و الإنارة .أما الحوض الذي يتوسط هذه الغرف فهو مستطيل مساحته 2.10مx1.50م يعلوه عقد حذوي متجاوز.

و استخدام الميضأة في المدارس يختلف من حيث الوظيفة عن ميضآت المساجد لان استخدامها يختص بالطلبة المقيمين بها و هذا يعود لقوانين المدرسة.

يكتنف المصلى من جهته الشرقية و الغربية جناحين يفتحان على الرواق، فالجهة الشرقية تتكون من أربعة حجرات يتقدمها فناء مكشوف يتصل بالرواق المشرف على صحن المدرسة بباب عرضه 1.34م ، أما الفناء فمقاساته(3.85x3.20م).

أما بالنسبة للجهة الغربية فهي عبارة عن فراغ، به بقايا من حائط، يقسم هذا الفراغ إلى قسمين، في الجزء الجنوبي منه نجد به بعض القبور و شواهدها.

❖ **الطابق العلوي:**(الصورة رقم 16).

يوصل إليه عبر درج صاعد الذي يوجد على يسار مدخل المدرسة الرئيسي ، هذا الطابق به رواق غير مسقوف ،تفتح عليه غرف متطابقة لحجرات الطابق الأرضي ، و هي جد بسيطة حيث نجد أن أبوابها خالية من النوافذ التي تعلوها ، و السقف جاء مسطحا.

3-الناحية الزخرفية:

أغلب الزخارف الموجودة في المدرسة ،موجودة بالمصلى و المدخل التذكاري ،لكنها متنوعة و غنية بعناصر و مواضيع زخرفية حيث تراوحت ما بين النباتية و الكتابية و الهندسية و شكلت على مواد عديدة كالجص , الخشب و الفسيفساء الخزفية.

❖ **الزخارف النباتية:**(الصورة رقم 20)

نفذت على الجص و نجدها تكسو جدران قاعة الدرس ،اغلبها جددت و ما غلب على العنصر النباتي هي المراوح النخيلية فوجدت إما عبارة عن تشبيكات نباتية متداخلة ، نجدها على سبيل المثال في إطار المحراب و في أعلى جدران القاعة ،نجد هذه المراوح النخيلية وردت صماء ،يمكن إرجاعه إلى العودة للتقاليد المرابطيةالموحدية ووردت جاءت شديدة التموج و الالتواء أين يظهر التأثير الأندلسي .

كما وردت أيضا (المراوح النخيلية) مرفقة بالكتابات ، لتشكل أرضية لهذه الأخيرة، آو تتفرع من نهايات الحروف .

و من بين الزخارف النباتية المحيطة بإطار المحراب أزهار ثلاثية الفصوص، ونجدها كذلك مشكلة بالفسيفساء الخزفية عند المدخل الرئيسي.

❖ **الزخارف الكتابية:**(الصورة رقم21-22).

يحيط بالمحراب شريط كتابي يحمل كتابة نفذت بالخط النسخي ، عبارة عن أية قرآنية من سورة البينة على الشكل التالي:

الشريط الأول: و ما أمروا إلا أن يعبدوا الله.

الشريط الثاني: مخلصين له الدين حنفاء و يقيموا الصلاة.

الشريط الثالث : و يوتوا الزكاة و ذلك دين القيمة.[1]

أما بالنسبة للخط الكوفي فنجده في عناصر من المعينات التي تغطي جدار القبلة تحتوي على اسم الجلالة «الله", إلى جانب وجود إفريز كتابي يمتد أفقيا فوق الفسيفساء الخزفية التي تغطي الجزء السفلي من الجدار و هو عبارة عن دعاء يتمثل في عبارة "أنعمت يا رب فزد، فلك الحمد".

و يمتد أيضا أسفل القبة التي تغطي المصلى شريط كتابي نفذ بالخط النسخي المغربي الأندلسي يتضمن أبيات شعرية تذكر تاريخ التأسيس وقد سبق ذكرها .

1-الآية رقم 5 من سورة البينة

❖ **الزخارف الهندسية:**

بالنسبة للزخارف الجصية تتمثل في شبكة المعينات التي تغطي جدار القبلة ،و نجد في القسم العلوي من القاعة إفريز من النجمات به 16 رأسا .و زخرفت القبة كذلك بطبق نجمي كبير بطريقة الحفر.(الصورة 23).

أما التي جاءت مشكلة بالفسيفساء الخزفية فنجدها في بيت الصلاة تغطي أسفل الجدران ، وهي عبارة عن قطع صغيرة من المربعات و المعينات وقد جمعت بشكل هندسي منتظم و اعتمد فيها على ألوان عديدة و هي: الأبيض، الأسود، البني المائل للحمرة ، الأصفر و الأخضر.(الصورة رقم 24).

كما وجدت أيضا زخرفة بالفسيفساء الخزفية تغطي واجهة المدخل الرئيسي، بحيث يوجد إطارين مستطيلين مشكلين من قطع الآجر ما بينهما لوحات مطلية بالبني الداكن و الأخضر، شكلت لدينا إفريز من المعينات (الشكل 7)و(الصورة رقم 13) بينما ركني الإطار الداخلي و محيط القوس المفصص فيحتويان على نجمات متعددة الرؤوس و الألوان.

من هنا نجد أن الفن المغربي ابتكر هنا خاصية الزخرفة بالفسيفساء الخزفية ذات الأشكال الهندسية المتنوعة ، حيث تعد مدرسة سيدي بومدين نموذجا في تنوع زخارفها و المواد المستعملة فيها.

2-مدرسة سيدي الحلوي:

هي المدرسة الثانية التي تأسست في مدينة تلمسان الزيانية ، أسسها أبو عنان ابن أبي الحسن المريني سنة 754ه/1353م .تقع المدرسة بجوار ضريح الولي الصالح أبي عبد الله الشوذي الاشبيلي الملقب بالحلوي[1].

اختار السلطان المريني مكانا منحدرا عبارة عن حي سكني ، تشرف عليه أسوار تلمسان الشمالية الشرقية لانجاز المشروع المعماري الكبير الذي يتألف من المسجد و المدرسة و الزاوية و الضريح[2]. (الصورة رقم 25).

و أجملها هو المسجد الجامع الذي تتصل به الزاوية و ظلت المدرسة و الزاوية قائمتان حتى أوائل القرن العاشر الهجري، السادس عشر ميلادي[3]. (الصورة رقم 26).

و لاشك أن بناء سلاطين بني مرين لهذه المجموعات المعمارية كان يهدف من خلالها إلى خدمة أغراض سياسية بالتأثير على مختلف شرائح الاجتماعية و الظهور أمامهم بمظهر الدين و العلم و خدمة مصالح الجماعة و ذلك بإرضائهم جميعا لمختلف الشرائح :المساجد و الأضرحة ،و للعلم و العلماء : المدارس و للمتصوفة و الصلحاء و الزهاد :الزوايا[4]

لكن هذه المنشاة المعمارية اندثرت معالمها، و لم يبق منها إلا الجامع و الميضأة، الذي لازال يحتفظ بزخارفه الرائعة.

و لقد عبر ابن مرزوق عن جمال مدارس أبي الحسن المريني قائلا: "و كلها، قد اشتمل على المباني العجيبة و الصنائع الغريبة و المصانع العديدة و الاحتفال في البناء و النقش و الجص و الفرش على اختلاف أنواعه من الزليج البديع و الرخام المجزع و الخشب المحكم النقش و المياه النميرة"[5]

أما فيما يخص هندستها فلقد أعطى مارسي وصفا تشترك فيه المدارس المرينية بقوله:" إن أوصاف المدرسة المغربية شبيهة بأوصاف الرباطات ، فأول ما يواجه الداخل للمدرسة هو صحنها الذي يختلف من حيث السعة و الضيق حسب مساحة المدرسة و يتصدر الصحن في اتجاه القبلة ، التي هي بمثابة مكان للصلاة و قاعة لإلقاء الدروس.

---

1) يحي ابن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص 127-128.

انظر: 2) Marcais (G)et(W) : Les monuments arabes….p 258

3) ابن مريم : البستان ....ص 33.

4) عبد العزيز لعرج:المبانيالمرينية في امارة تلمسان الزيانية ،ص 236.

5) ابن مرزوق: المسند الصحيح ص 303.

و أمام القبة يتوسط الصحن بيلة رخامية للوضوء بمائها ، وفي كل مدرسة يحف بالصحن من ثلاث جهات-غير جهة المصلى-حجرات معدة لسكنى الطلبة تتكون من طابقين : سفلي و علوي". [1]

ويبدو من إشارة ابن مريم أن المدرسة و الزاوية ظلتا قائمتين حتى أوائل القرن العاشر الهجري ، السادس عشر ميلادي ، حيث أورد في ترجمته للوالي (سيدي احمد بن الحسن) الذي "بقي يحي الليل سنين كثيرة في جامع زاوية سيدي الحلوي رضي اله عنه ، على من سمعت من كثير ممن أثق به ممن كان ساكنا بالزاوية و قال لي أخي سيدي علي و قد كان ساكنا .....ابتداء أمره مدرسة الزاوية"[2]

لم تكن فكرة تأسيس المدارس الجامعة في المغرب الإسلامي، على يد سلاطين بني مرين، فكرة جديدة بل سبقهم إلى ذلك الموحدين و سلاطين بني حفص في تونس ، لذلك استهدف المرينيون من بناء المدارس هو محاربة المذهب الموحدي و إحياء المذهب المالكي ، إلى جانب نزوح عدد كبير من أهل الأندلس المالكيين[3].إلى المغرب بعد سقوط بعض المدن كاشبيلية و قرطبة.

تميزت المدارس المرينية في المجالات الفنية و التنظيمية و أيضا في الدور الفكري ، و تأثر المرينيون بما كان سائدا في المشرق الإسلامي و مغربه من إنشاء المدارس على يد السلاجقة و الأيوبيين و الحفصيين

و إن توطيد أركان الدولة لا يقوم فقط على القوة العسكرية بل لابد من التقرب من رجال الدين و الاعتماد على ركيزة دينية و يكون ذلك بتأسيس المدارس الرسمية بحيث يكون أساتذتها و طلبتها مرتبطين بالسلطان الذي عينهم في تلك المؤسسات و أغدق عليهم بالهدايا و الرواتب الشهرية[4] .

---

1) الفن الإسلامي: ترجمة عفيف بهنسي ط دمشق 1968 ،ص 212.

2) احمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج، ص246.

3) محمد القبلي: قضية المدارس المرينية ،ملاحظات و تأملات ،دار توبقال للنشر ،دار البيضاء 1987 ص 99-100.

4) لمليح السعيد : المدارس المرينية و دورها الفكري بالمغرب كلية الآداب و العلوم الإنسانية، فاس 1988-1989،ص 102.

و لقد أعطت أيضا وثائق التجبيس ، الهدف من إنشاء المدارس المرينية بصفة عامة ، ومن وثائق التحبيس الدالة على ذلك ، وثيقة التحبيس المحبسة على مدرسة الدار البيضاء (فاس الجديد) التي تضمنت ما يلي:"الحمد لله رب العالمين و مجزل ثواب العاملين المحي بالمدارس ما درس من معلم العلم و الدين....و بعد فهذا ما أمر بتخطيطه و إنشاءه دفعا و ردعا لأيدي المعتدين مولانا الخليفة الإمام.....أبو سعيد نور الله ثراه .....على إقراء القران العظيم و تدريس العلم بمدرسته المباركة"[1]أي أن الرغبة من إنشاء هذه المدرسة هو الرغبة في الحصول على الثواب، لأنها تعتبر صدقة جارية ينتفع من ثوابها منشؤها بعد وفاته[2].

بالرغم من الأحداث التي عرفها المغرب الإسلامي ، ودلك بقيام الدويلات المتصارعة فيما بينها فقد استطاع المرينيون آن يحافظوا على التراث الإسلامي ، و النهوض بالحركة العلمية و دلك بإنشاء المؤسسات التعليمية و إلحاق بها المكتبات و خزائن الكتب ورعاية أهل العلم بجميع الوسائل المتوفرة و يقول ابن أبي زرع عن أبي سعيد عثمان 720ه/1320م : أمر أمير المسلمين أبو سعيد أيد الله ببناء مدرسة بحضرته فاس الجديد ، فبنيت أتقن بناء ، و رتب فيها الطلبة لقراءة القران و الفقهاء لتدريس العلم و أجرى عليهم المرتبات و المؤونة في كل شهر حبس عليها الرباع و المجاشر كل دلك ابتغاء وجه الله و رجاء مغفرته [3].

من هنا كان الهدف من إنشاء المرينين المدارس هو إقراء القران وهو يشمل الطلبة الذين يتابعون دراستهم في علوم القران ، و الهدف الثاني هو تدريس العلم حيث تتكفل المدرسة بإيوائهم و النفاق عليهم و هو مرتبط بمذهب الإمام مالك أي تدرس علوم المذهب المالكي.

و للإشارة أن مسالة تدريس القران لم تكن وليدة العصر المريني بل سبقهم الموحدون في تدريسه و كان الفرق في مسالة المذهب فقط.، فكان الموحدون قد انتهجوا سياسة للقضاء على معالم المذهب المالكي ، لكنه سرعان ما استرجع قوته في عهد المرينين بحيث يعتبر هذا المذهب بسيط و معتدل [4].

---

1) Bel (A) : Inscriptions arabes de Fès ,1971 ;t VI ,p .158-160. انظر:

2) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص 407.

3) Bel(A) : Inscriptions arabes de Fès pp152-153.

4) د/صالح بن قربة: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط ،ص183.

من المعروف أن بني مرين لم يكونوا أصحاب طريقة دينية أو اتجاه جديد في العقيدة ،لتبرير موقفهم للاستيلاء على الحكم ، جربوا حظهم مع المتصوفة محاولين استغلال نفوذهم لاستقطاب عدد كبير من الجماهير لكن أغلبية المتصوفة رفضوا العون معهم ، هذا ما أدى بهم إلى بناء مدارس سنية لفقهاء المالكية و ذلك لكسب النفوذ المعنوي و الروحي[1] .

1) لمليح السعيد: المرجع السابق، ص 106

مواد البناء المستعملة:

استمر الزيانيون و المرينيون في استخدام مواد البناء التي عرفت في العهد الموحدي في عمائرهم و لم يطرأ عليها تغيير كبير.ولعل أهم المواد التي استخدمها البناءون هده الفترة ،الأجر و حجارة الدبش و الملاط، و لم يستخدموا الحجارة الكبيرة المصقولة التي استخدمت عند الموحدين.

كما استمروا في تقنية المعروفة آنذاك و التي تتمثل في الأجر و الملاط و أخيرا تكسى جدرانها بالجص

و هكذا يبدو أنهم استخدموا ما كان معروفا عند الموحدين من مواد و خاصة الأجر، الذي يعتبر مادة بنائية أساسية، و دلك لسهولة استعماله في تشكيل العناصر المعمارية كالعقود و القباب ،

و قد كان هدا النوع من البناء معروفافي الأندلس من قبل و انتقل إلى المغرب عن طريق المرابطين الدين استخدموه في مبانيهم بمراكش ثم انتقل إلى الموحدين بعد ذلك.

أما عن طرق استعماله ،فقد وضع في صفوف أفقية متوازية تصل بينها وصلات رقيقة من الملاط، هذا فيما يخص الدعامات ،أما في القباب فكان يوضع على شكل صفوف دائرية ، وأخرى متراكبة فوق بعضها البعض ،وتبرز إلى الداخل كلما ارتفع البناء،و تبلغ مقاسات الأجر المستعمل في المنطقة 0.03x0.12x0.2م[1]

كما استعملت في نحت الأعمدة و التيجان مادة (onyx) ،وهو نوع من المرمر الذي شاع استخدامه وذلك لتوفره بضواحي تلمسان بمكان يدعى "عين تاكبالات"[2]، ونجده في مسجد أولاد الإمام ،في الزاوية الشمالية الشرقية لبيت الصلاة .

انظر: 1-Marcais(G) :L'architecture musulmane d'occident, p328,329.

انظر: 2-Bourouiba (R) :L'art religieux musulman ,p 174.

أما الأقواس فقد اتبع فيها طريقة تعتمد على حجر ا وسط يكون بمثابة مفتاح القوس ،و اعتمد فيها أيضا على الآجر و الملاط (الشكل 8).

و استعملت مادة الخشب في البناء و الزخرفة و ذلك لتوفرها في بلاد المغرب التي تتوفر بها غابات كثيرة بجبال الأطلس[1]

و استعمل في التسقيف كما هو الشأن في مدرسة أولاد الإمام،انظر (الصورة رقم4) (الشكل رقم 1) و كذا في باب المدرسة التاشفينية المحفوظةفي متحف تلمسان،وهو ذو مستطيل الشكل ،زين بزخارف هندسية عبارة عن أشكال نجمية ذات ثمانية رؤوس ووزعت عليه مجموعة من المسامير انظر(الصورة رقم 10)،و نجده في زخرفة قاعدة القبة في مدرسة سيدي أبي مدين

و استعملت الفسيفساء الخزفية بكثرة حيث يعتبر استمرارية لما وجد من قبل على عمائر الحماديين و الموحدين ونجد هذا النوع من الزخرفة على مئذنة المدرسة التاشفينة، كما استعملت فيها ألوان عديدة كالأبيض ، البني ، الأصفر و البرتقالي.

كذلك بالنسبة للأجر استعمل أيضا في زخرفة المآذن،و استعمل القرميد الأخضر ذو الطلاء الشفاف لغطاء الأسقف من الخارج .

و استعمل أيضا الجص بكثرة فنجده يكسو جدران قاعة الصلاة في مدرسة سيدي ابي مدين و في زخرفة محراب مسجد أولاد الإمام.

انظر: 1Golvin (l) : La madrasa médiévale ,p 298.

خلاصة الفصل:

بذل المرينيون جهودا جبارة في ميدان العمارة تشهد على ذلك مآثرهم العمرانية الخلابة التي ما زالت تنطق بذلك ،و تتجلى الميزة الأساسية لحضارة المريينيين في أسلوبهم الخاص في فن البناء و الزخرفة حيث أدرك الفن الأندلسي المغربي قمته في عهدهم ،فساد أسلوب فني رائع مزج بين الغرناطي نسبة إلى "غرناطة " الأندلسية و مدينة تلمسان ،فظهرت خواصه في مدينة "المنصورة" ، و تفننهم في تشييد المدارس كما هو الحال في مدرسة سيدي آبي مدين التي تعتبر الشاهد الوحيد بتلمسان الزيانية .

فكان لتأسيس المدارس المرينية ،هدف و هو شغل الفراغ الديني الذي تركه الموحدون ، فانشاوا مدارس عديدة سنة 679ه/1280م كمدرسة الحلفاويين و مدرسة فاس الجديد إلى غير ذلك من المدارس التي لعبت دورا كبيرا للنهوض بالحركة العلمية و الثقافية بالمغرب إلى جانب تكوين اطر متخصصة في المذهب المالكي.



دور المدرسة التربوي و التعليمي

1- منظومة المدرسة في الإسلام.

2- نظام التعليم بالمغرب الأوسط.

-خلاصة الفصل

1-منظومة المدرسة في الإسلام:

لم يكن قيام المدرسة وليد نفسها أو نتائج تأمل مجرد يحدث في فراغ من جانب الكبار ،كماأن برنامجها التربوي لم يتم تلقائيا ، و إنما هي منظمة اجتماعية أنشئت و تطورت في كل مجتمع نتيجة ما بذله أفراده من جهود لتوجيه حياة الناشئين و مساعدتهم على مواجهة ظروف الحياة في المجتمع ، و من ثم تتأثر المدرسة والتربية بصفة عامة ، بأحكام هؤلاء الكبار و طرق اختيارهم ، و هذه الطرق و تلك الأحكام تتأثر بدورها بظروف الزمان و المكان من تاريخ و نظام الحكم و معرفة و علم و تقاليد و هذا كله وليد تنظيمات تعبر عن خبرات أفراد هذا المجتمع.[1]

تضافرت الأسباب لظهور المدرسة عند المسلمين فكان التركيز عند المسلمين على العلم الديني ، فيقول معاذ بن جبل (ت 18ه/639م) :"تعلموا العلم فان تعلمه حسنة ، وطلبه عبادة و مدارسته تسبيح و البحث عنه جهاد، و تعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة".[2]

أما من الناحية السياسية فهي كذلك من دوافع إنشاء المدارس، حيث جعل الحكام التربية احد أسلحتهم لمحاربة و اقتلاع أثار الآخرين، و استخدمت لقهر أفكار الخصوم و محاربة الفكرة بالفكرة و الرأي بالرأي.[3]

كما لا يمكن ان ننسى الدوافع الثقافية التي كانت عند الخليفة ، فكان يجمع الكثير منهم ثقافة عالية مع رغبة شديدة في نشر التعليم بين الناس .

لقد تعددت العناصر المشرفة على المدرسة من مدرسين و معيدين و نظام و كتبة تنحصر مسؤولياتهم في تحرير الرسائل و تنظيم السجلات الإدارية ، وقيمين مهمتهم القيام على حراسة المدرسة و حفظ مفاتيح أبوابها ،و نفاطين يزودون مصابيح الطلاب بالنفط و ينفطون مصابيح المدرسة و غرف الفقهاء.[4]

وهناك وظائف فنية مهمة أصحابها القيام بالمحافظة على المبنى و صيانته و على رأس هذه الوظائف :المعمار، المرخم، السباك ، النجار .

1) سعيد إسماعيل علي: معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي ، القاهرة 1986،ص365.
2) الغزالي : إحياء علوم الدين ،ج1 دار الكتب العلمية ط1 ، 1423ه ،ص 11.
3) سعيد إسماعيل علي : المرجع السابق :ص 306.
4) حسن امين: المدرسة المستنصرية ، مطبعة شفيق ،بغداد 1960،ص 97.

وظيفة المدرسة الإسلامية هو تدريس الفقه وفق مذهب واحد أو أكثر.و يقوم المعلمون بتدريس مختلف العلوم و غلب على هذه العلوم الطابع الديني ، ويختار المعلم ضمن خصال ينبغي أن تتوفر بهم، فهم من اتصفوا بالديانة و الورع و التقوى و الأهلية [1]

و هناك في المدرسة عدد من الناصب التدريسية الشهيرة :

1- مدرسون للفقه على عدد مذاهب المدرسة ، فكان مثلا مجموع طلبة المدرسة المستنصرية 248 طالب أو فقيه و كان لكل طائفة من الطوائف الأربع مدرس أي للحنفية و الشافعية و الحنبلية و المالكية.[2]

2- معيدون لإعادة الدروس حيث بلغ 16 معيدا في المدرسة المستنصرية ، ينتخبون من طرف الطلبة أنفسهم[3]. و يكون المعيد من الصلحاء ، الفضلاء ، صبور على اختلاف الطلبة ، حريصا على فائدتهم و انتفاعهم به ، و يعيد لهم ما تعذر فهمه من دروس المدرس ، و لهذا يسمى معيدا.

و قد ذكر السبكي :"إن المعيد عليه قدر زائد على سماع الدرس من تفهيم بعض الطلبة ، و نفعهم ، و علم ما يقتضيه لفظ الإعادة".[4]

أي أن المعيد يبدأ عمله بعد انتهاء الشيخ من درسه فيشرخ النقاط الغامضة من الدرس و يساعد محدودي الذكاء من الطلاب في شرح ما صعب عليهم فهمه.

و كان المعلمون في المدارس مختلفي الاختصاصات، يدرسون الفقه و علوم الحديث و أصوله ، ومنهم شيوخ مقرئون ،و معلمو العلوم اللغوية العربية و الأطباء إلى غير ذلك.

و لقد تألفت المدرسة من أقسام علمية متخصصة لها أساتذتها ، فعلى سبيل المثال نجد أن المدرسة المستنصرية تألفت من عدة أقسام أو معاهد علمية منها مدرسة الفقه ، ودار القران ،ودار الحديث ،و أقسام العربية ، الرياضيات ، و العلوم الأخرى ،ومعهد الطب الذي كانت تدرس به العلوم الطبية في بناء خاص به ، و أهم الأقسام بها (أي المستنصرية) مدرسة الفقه لان كما نعرف أن الغرض الرئيسي الذي تقوم عليه

1-ابن جماعة: تذكرة السامع و المتكلم في ادب العالم و المتعلم ، مطبعة دار البشائر الاسلامية 2008.ص 45.

2-ناجي معروف :تاريخ علماء المستنصرية بغداد 1959،ج1،ص 56.

3-عماد عبد السلام رؤوف: مدارس بغداد في العصر العباسي ،ص 30.

4-السبكي: معيد النعم و مبيد النقم ، تح محمد يوسف موسى ، مكتبة الخانجي للطباعة و النشر و التوزيع ط1 1905،ص 208.

كما أن المدرسة لا تخلو من مكتبة، حيث تزود بالكتب التي تختلف تبعا لمكانة المدرسة بحيث تعتبر المكتبة أداة تربوية حية لخدمة النشء.[1]

أما بالنسبة لمواعيد الدروس و أوقاتها، فقد ارتبطت بمواعيد الصلاة فتكون قبل أو بعد الصلاة كصلاة الفجر أو العصر.

أما بالنسبة للمدة الزمنية للدرس ،فترك المجال للأستاذ أن يقدر الوقت الكافي للموضوع الواحد آو للدرس الواحد ، فقد كان الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن المعروف بابن وريدة البغدادي كان يطيل الحديث و لا يضجر.[2]

و لم تقتصر المدارس على أن نكون مركز معرفة و علم و قضاء و حكم ، بل تحولت إلى حصون دفاعية ، و قلاع حربية كالمدرسة الحسينية في القاهرة ، احتلت موقعا مهما ، فكانت متينة البناء ، عالية الجدران و تواجه القلعة التي تشرف على مدينة القاهرة وبقيم بها السلطان .[3]

و تعتبر المدرسة الإسلامية تغلغلت فيها الروح الإسلامية ،و استقبلت الغني و الفقير من أبناء المسلمين ، حيث أمنت لهم الأجواء الملائمة يسودها الود و الوئام بين العالم و المتعلم ، حيث كان المتعلم حريصا على تلقي العلم ، و العالم حريص بدوره على تزويد طلبته بالعلم النافع و غرس مبادئ الفضيلة و الأخلاق الإسلامية في نفوسهم.

---

1) ج.رالف: المكتبة و دورها في التربية ، ترجمة مصطفى الصاوي الجويني ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة 1987.ص 3.

2) حسن امين : المدرسة المستنصرية ، ص 81.

3) محمود قمبر: دراسات تراثية في التربية الاسلامية ، دار الثقافة ، الدوحة ،قطر 1987.ص 71.

2-نظام التعليم بالمغرب الأوسط:

عرف المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن و التاسع الهجريين ، تطور كبير في مختلف المجالات الحضارية ، وخاصة في المجال العلمي و بقيام الدولة الزيانية التي كان حكامها يشجعون العلم و العلماء حيث برزت تلمسان كحاضرة و مركزا للإشعاع.

ولقد عرفت أوضاع التعليم في الغرب الإسلامي تباينا واضحا ، فهناك من حافظ على طريقة واحدة للتعليم كتونس و تلمسان و هناك من انقطع كالأندلس و فاس هذا ما اثر على الحركة العلمية[1]

و لقد حافظت تلمسان على سند تعليمها عن طريق عالمها أبو عيسى موسى ابن الإمام الذي تتلمذ على مشايخ تونس التي كان سند التعليم بها متصلا بالمشرق.[2]

هذا و كان لنزول عمران المشداليبتلمسان و إقامته فيها دورا بالغا في بث طريقته في التعليم .[3]

كما رحل فيما بعد عالم تلمسان أبو عبد الله الشريف إلى تونس ، فلقي أبا عبد الله بن عبد السلام حيث حضر مجلسه و استفاد منه حتى كملت طريقة التعليم لأبي عبد الله الشريف و سعيد العقباني.[4]

لم يهتموا بإنشاء المراكز التعليمة فقط بل أعطوا عناية بالغة للتعليم و رجاله ، لأنه يعد من العوامل الأساسية المساهمة في الحركة العلمية في أي مصر من الأمصار ، كما يعتبر مرآة عاكسة للازدهار الثقافي و العلمي و سوف نرى نظام التعليم من خلال مراحل و طرق التدريس:

1) ابن خلدون : المقدمة ،ص 450-451.

2) ابن مرزوق: المسند الصحيح ،ص 265-260.

3) ابن خلدون : المقدمة ،ص 480.

4) المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، ضبط و تحقيق مصطفى النقا ، إبراهيم الابياري ، طبع صندوق إحياء التراث الإسلامي ، المغرب ، الإمارات 1980 ،ج3، ص25

أ–مراحل التعليم:

❖ **التعليم الابتدائي:**

كان الهدف في هذه المرحلة هو تحفيظ القران الكريم و مبادئ اللغة و اكتساب الخط، و كان يتم هذا في الكتاتيب ،كما يحرصون كل الحرص على تحفيظ القران و التلاوة الحسنة ، هذا إضافة إلى تعليمهم أمور العبادة مثل كيفية الوضوء، و الصلاة و التشديد عليهم لاستعابها.

و يرى عبد الرحمن ابن خلدون أن طريقة تعلم القران و حفظه في أول الأمر هو أصل التعليم، وهو أول ما يجب تعلمه لأنه به يبني ما يحصل بعد ذلك من الملكات.[2]

❖ **التعليم الاحترافي:**

كانت هذه الدروس تتم في المساجد الجامعة كالجامع الأعظم بتلمسان ، و الجزائر[3] و المدارس المشهورة ، ففي هذه المرحلة ينكبون على دراسة مختلف التخصصات العلمية إلى جانب العلوم الدينية[4].كتفسير القران والاطلاع على علومه وعلم الحديث و الفقه خاصة المالكي ، و علوم اللغة العربية و آدابها ، و غيرها من العلوم .بمزيد من التعمق و التحليل و يقوم بدراسة الطلبة في هذه المرحلة أساتذة متخصصون في مختلف المواد العلمية ،و قد أوردت المصادر أن سلاطين بني زيان كانوا يشرفون بأنفسهم على تعيين الأساتذة في مدارس دولتهم ،و يدفعون أجورهم كما يحضرون مجالس دروسهم.[5]

---

1) القابسي ابو الحسن: الرسالة المفضلة ، دراسة و تحقيق احمد خالد ، الشركة التونسية ،ط1 ، 1986،ص 30-40.

2) ابن خلدون : المقدمة ،ص 603.

3) عبد الحميد حاجيات: الحياة الفكرية في عهد بني زيان ، مجلة الأصالة ،العدد 26 ، 1975 ،ص 138.

4) محمد بو شقيق : العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 9ه/15م ، مذكرة ماجستير ، جامعة وهران ، قسم التاريخ 2004.

5) عبد الحميد حاجيات: المقال السابق، ص138.

ب–طرق إلقاء الدروس:

- **طريقة الإلقاء و الإملاء:**

أي ان المدرس يجلس في وسط الحلقة و يقوم بإملاء الدرس الذي هو بصدد تعليمه لهم ، و الطلبة يقومون بكتابته على لوح خشبي ،و يتم حفظه و أخيرا يمتحن الدارس.[1]

- **طريقة اختيار كتاب معين من العلوم و شرحه:**

تسود هذه الطريقة في مرحلة التعليم الاحترافي حيث يقوم الطالب بقراءة نص من الكتب المشهورة وبعد ذلك يقوم الأستاذ بشرح النص و تبسيط ما ورد من المفردات الصعبة[2].

- **طريقة المحاورة:**

هذه الطريقة انتقلت من تونس إلى المغرب الأوسط و ذلك من طرف العالمين الجليلين ابني الإمام و ترتكز هذه الطريقة على التحليل و المحاورة و الابتعاد عن أسلوب الحفظ .[3]

و هذه الطريقة تجعل المدرسين يعتمدون كثيرا على البحث في القضايا العلمية و خاصة فيما يتعلق بالعلوم العقلية كالحساب و الهندسة ،و يكون الطالب هو النواة المحورية للوصول الى حل هذه القضايا في حين يبقى الشيخ و يدير هذه المناظرة.[4]

1) لخضر عبدلي: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان ،رسالة دكتوراه ،قسم تاريخ ، جامعة تلمسان 2005 ص 97

2) اسكان حسن: جوانب من التعليم في المغرب الوسيط من ق 7ه/13م إلى ق 9ه/15م ،رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ جامعة محمد الخامس ،كلية الأدب و العلوم الإنسانية ، الرباط 1988 1987 ص 114.

3) ابن خلدون : المقدمة ص 450.

4) عبد العزيز فيلالي : تلمسان في العهد الزياني ، ،ج2، ص 353

5-الرحلة العلمية:

كان طلاب المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن و التاسع الهجري يرتحلون لطلب العلم من الحواضر الإسلامية المغربية الكبرى كفاس و غرناطة و تونس ، أو المشرقية كالقاهرة و بغداد ،وذلك بهدف تنمية معارفهم و الالتقاء بفطاحل العلماء ، بحيث أن الرحلة في طلب العلم تعد إثراء في التعليم.

و قد ذكر ابن خلدون في فصل كامل في مقدمته أهمية الرحلة العلمية التي تساعد في تكوين الطالب حيث قال :"........إن البشر يأخذون معارفهم و أخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب و الفضائل تارة علما و تعليما و إلقاء و تارة محاكاة و تلقيا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة و التلقين اشد استحكاما و أقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات و رسوخها.....فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد و الكمال للقاء المشايخ ومباشرة الرحال......"[1].

و لقد عرفت الرحلة العلمية نشاطا و ذلك لحرية التنقل بين مختلف الأمصار المغرب و الأندلس و المشرق رغم الانقسام السياسي الذي كان موجودا آنذاك في العالم الإسلامي ، كما كان الطلاب يستقبلون بحفاوة ، وكانت توفر لهم أماكن الإقامة إلى جانب ترحيب العلماء بالطلاب الوافدين عليهم كما ساهمت الرحلة العلمية في توطيد الروابط الثقافية لبلاد المغرب الأوسط مع دول المغرب و الأندلس و بلاد المشرق.

1) ابن خلدون :المقدمة ص 605.

6-الإجازة العلمية:

من خلال الرحلة كان الطلبة يسعوا إلى الحصول على الإجازات في مختلف العلوم ، فكان عليهم زيارة المراكز العلمية المشهورة آنذاك بهدف الاتصال بكبار العلماء و الأخذ عنهم و الحصول على الإجازة و الرواية منهم ، و ذلك حرصا على السند العلمي الذي بفضله يصل الطالب بمؤلفي كتب العلوم خاصة علم الحديث[1] الذي ارتبطت به الإجازة العلمية ارتباطا وثيقا لأهميته في حفظ رواياته التي بفضلها يتم هذا العلم و يكتمل لان بدونها يكون ناقصا و لهذا شدد العلماء على إعطاء الإجازة إلا للطالب النجيب [2].

ومن اجل هذه المهمة النبيلة رحل الكثيب من العلماء و الطلاب إلى الحواضر العلمية الإسلامية للحصول على الإجازة في مختلف العلوم الدينية خاصة علم الحديث من قبل علمائه، فلقد رحل ابن مرزوق الى القاهرة و التقى بالعالم المحدث ابن حجر العسقلاني (ت 852) الذي كان عمدة علم الحديث في مصر خلال القرن التاسع الهجري و الذي أجازه.[3]

لكن في أواخر القرن9ه/15م و الفترة التي تلتها في المغرب الأوسط فقدت الجازة العلمية أهميتها بسبب انقطاع الرحلة العلمية و اكتفاء الطالب بطلب الإجازة عن طريق المكاتبة لا بزيارة الشيوخ و العلماء كما كان الحال في السابق[4]

---

1) القلصادي: رحلة القلصادي ،دراسة و تحقيق محمد أبو الاجفان ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس 1978 ص 66.

2) يوسف الكتاني : مدرسة الامام البخاري في المغرب ، دار لسان العرب ، بيروت ،ج1 ص 130.

3) السخاوي شمس الدين: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، منشورات مكتبة الحياة ،(د-ت) ج7، ص50.ل

4) الروداني احمد بن سليمان : صلة الخلف بموصل السلف ، تحقيق محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1988 ،ص 30.

7-إنشاء المكتبات العامة:

من الركائز المهمة التي تبنى عليها الحياة العلمية ، فلا يمكن ان تزدهر هذه الأخيرة ألا عن طريق تدريس المقررات بل يجب توفر الكتب ، التي توضع في مكتبات عامة حيث تكون في متناول الطلبة دون اللجوء إلى شراءها مما يوفر للمعلمين و المتعلمين الوقت و المال.

و من بين المكتبات التي عرفت ، مكتبتا الجامع الأعظم ، الأولى انشات من طرف السلطان ابو حمو موسى الثاني في 760ه/1359م و كانت على يمين المحراب من الجار القبلي ، و لكنها هدمت و ما فيها من كتب و ذلك في 1266ه/1850م.

أما المكتبة الثانية فانشات من طرف السلطان ابو زيان محمد بن ابي حمو الثاني في 769ه/1394م و كاتن بالقسم الامامي من الجامع الكبير.[1]

و من بين مظاهر الاهتمام بالعلم جعل الجرايات على العلماء و تامين النفقات للطلبة ، لان إهمال الدولة للتعليم وعدم الاعتناء بأهله هو من أسباب الرئيسية لزواله .و يظهر هذا الإهمال في عدم بناء المدارس و عدم تعيين المدرسين فيها.

لكن هذا لم يكن في المغرب الوسط في تلمسان بالضبط في عهد بني زيان لان نجد من قول التنسي عن أبي حمو الثاني لما شيد مدرسته :"و قد احتفل بها هذا السلطان و اعتنى بها ، و اثر عليها الأوقاف ، و رتب الجرايات ".[2]

كما قام الكثير من الملوك بحبس الاحباس على العلماء و الطلبة و الأئمة طلبا للثواب و الصدقات الجارية ، لان المؤسسات التعليمة تحتاج إلى الكثير من الأموال لتسيرها و صيانتها ، و حاجات الطلبة تستدعي نفقات لا يمكن أن توفي بها خزينة الدولة، فالأوقاف هي المصدر الآمن الذي لا يؤثر عليه ضعف الخزينة و تدعم الحركة العلمية.

كما اعتنى الملوك بالمجالس العلمية التي كانت تعقد في قصورهم و بحضرتهم ، و كانت هذه المجالس يحضرها أدباء،و فقهاء ، و علماء الحديث ،و ممن عرف بهذه المجالس أبو تاشفين بن أبي حمو الأول ، حيث حضر مناظرة بين أبو زيد ابن الإمام و أبو موسى عمران المشدالي في منزلة ابن القاسم ها هو مقلد لمالك أم مجهد مطلق.[3]

1) الحاج شاوش: باقة السوسان ص 400.

2) التنسي: نظم الدر و العقيان....ص

3) الحفناوي : تعريف الخلف...ج2، ص 216-217.

و من الأمور التي تدفع أيضا بالحركة العلمية، تيسير إقامة العلماء و ذلك بترحيب الملك بالعلماء، بخلاف ما إذا كانت الأحوال السياسية مضطربة، فهذا كان يدفع بالعلماء إلى الهجرة من كل بلد يستولون عليها.

و كان أول من عرف بهذه الميزة يغمراسن بن زيان كما وصفه التنسي "فاضلا محبا لأهل العلم و الصلاح....و له رغبة عالية يبحث عليهم أينما كانوا و يستقدمهم إلى بلده و يقابلهم بما هم أهله".[1]

وكذلك عبد الرحمن أبو تاشفين بن أبي حمو الأول كان له صفة أبيه و سابقيه ، وفد عليه الفقيه أبو موسى ابن عمران المشدالي ، أكرم نزله وولاه التدريس بمدرسته الجديدة ، وكذلك الأمر لمحمد السلاوي لما فر من بني مرين أوى الى المدرسة التاشفينية و درس بها.

و كانت مدينة تلمسان يوفد عليها العلماء ، و يعبرها الرحالة في طلب العلم كمحمد العبدريالبلنسي ، في رحلته إلى الحج ، أقام بها لمدة سنة قبل أن يغادر إلى المغرب.[2]

أخيرا قد ساهم الملوك في تشجيع العلماء على التأليف ، ومن أشهر المؤلفات في تاريخ الإسلام الرسالة النظامية للجويني الذي ألفها للوزير نظام الملك ،و ألف الشريف التلمساني كتابه المفتاح كما في مقدمته للسلطان المريني ابر عنان ،كما ألف التنسي كتابه التاريخي الأدبي الذي سماه نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان لسلطان زمانه محمد المتوكل.

بعد أن استعرضنا منظومة التعليم في الإسلام و تحديدا في المغري الوسط يجدر بنا الأمر إلى التعريف بالعلماء الذين درسوا بمدارس تلمسان الذين كان لهم تأثيرا ثقافيا و فكريا ،وذلك بنشر ما عندهم من علوم و معارف

---

1) التنسي: نظم الدر و العقيان ، ص 125.

2) عبد الحميد حاجيات : ابو حمو موسى الزياني ،ص 141-142.

جدول يبين أسماء العلماء و الأدباء بمدارس تلمسان

أسماء العلماء	تاريخ الوفاة	صفاته و ألقابه العلمية
أبوإسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي	680ه/1281م	فقيها-مدرسا لعلم الحديث
أبو زيد عبد الرحمن بن الإمام محمد بن عبد الله بن الإمام البركشي	741ه/1341م	فقيها-شيخ المالكية –انضم الى مجلس ابي الحسن سنة 737ه-1337م
أبو موسى عمران ابن موسى المشدالي البجائي	745ه/1345م	فقيها –من اكبر فقهاء تلمسان – محقق
أبو موسى عيسى بن الإمام، اخو أبي زيد المذكور	749ه/1349م	فقيه مالكي –انضم إلى مجلس أبي الحسن .
أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن عبد النور التلمساني	749ه/1349م	قاضي-تولى القضاء بتلمسان و فاس و كان عارفا بالغة و مقربا من السلطان.
أبو عبد الله محمد النجار	750ه/1349م	نبغ في العلوم العقلية و العاليم التحق ببلاط أبي الحسن المريني
أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الابلي	757ه/1356م	شيخ العلوم العقلية و النقلية

محمد بن محمد بن احمد بن أبي بكر القرشي التلمساني الشهير بالمقري	759ه/1347م	قاضي –فقيه و محقق
أبو العباس احمد بن الحسين بن سعيد المديوني	769ه/1369م	فقيه –استعمله أبو الحسن المريني في الزكاة. قاضي تلمسان على عهد أبي عنان.
أبو عبد الله الشريف التلمساني	771ه/1370م	من علماء تلمسان –مارس التعليم في كل من تلمسان و فاس
أبو العباس احمد ابن علي الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطني	809ه/1049م	أستاذا و قاضيا تولى القضاء ببجاية و قسنطينة و مراكش
سعيد بن محمد العقباني	811ه/1049م	أستاذا و قاضيا و فقيها ،تولى القضاء ببجاية و مراكش و سلا و وهران و تلمسان

خلاصة الفصل

نتج عن اهتمام حكام بني مرين و بني زيان بالحركة التعليمية تشييد عددا من المدارس داع صيتها بين دول المغرب الكبير ،حيث لعبت هذه المؤسسات دورا بارزا و أساسيا في تنشيط الحركة الفكرية بتلمسان ، هذا ما أدى إلى توافد عدد كبير من العلماء و الفقهاء الذين تولوا التدريس بهذه المدارس ،و لهذه الأسباب مجتمعة كان لابد من وضع نظام و برنامجا تربويا تتبعه هذه المدارس ويكمن هذا التنظيم في تدريس مختلف الاختصاصات و ذلك بتعيين معلمين كل حسب اختصاصه ، إلى جانب تحديد المدة الزمنية للدرس و إتباع طريقة معينة للتعليم ،كما توفرت بداخل المدارس مكتبات بغرض توفير الكتب حتى تكون في تناول الطلبة.


الخاتمة

الخاتمة:

ظهرت المدارس في العالم الإسلامي ، و أصبحت تحتل مكانة هامة ضمن العمائر الدينية في المدينة الإسلامية ، فلم تخلو أي مدينة من هذا النوع من المؤسسات ، فمن خلال دراسة المدارس الزيانية و المرينية بالمغرب الأوسط استخلصنا بعض الاستنتاجات و هي كالأتي:

– بدا هذا الانتشار من المشرق إلى المغرب الإسلامي ، فظهرت في أول الأمر في إيران ثم العراق و بعدها انتقلت إلى بلاد الشام و مصر ثم إلى بلدان المغرب و أخيرا غرناطة في بلاد الأندلس.

–وجدت مدارس تحتوي على الاواوين وهو عنصر معماري ساساني ورثه المسلمون و استخدموه في منشاتهم منذ الفترة الإسلامية المبكرة و استعمل في المدارس السورية في حلب و في غيرها من مدن الشام و المصرية ، و ذلك لتعدد المذاهب بها فكان كل إيوان خاص بمذهب كالمدرسة الكاملية و المستنصرية.

–تشجيع سلاطين بنو زيان و بنو مرين للعلم و قد عرف السلاطين بجهودهم المستمرة في نصرتهم للعلم ،حيث كانوا يستقبلونهم من مختلف الحواضر الإسلامية لاسيما الأندلس.

–ارتبط النظام المعماري في المغرب الأوسط في تخطيطه بالوظيفة التي أنشأ لأجلها و هي الإقامة و تحصيل العلم و خاصة العلوم الدينية ، كما تميزت أيضا في سيطرة الفقهاء الملكيين كمنشطين أساسين لها ،أي كانت ذات وحدةمذهبية هذا ما جعلت المعمار يركز على حلول معمارية أخرى تحقق الجمع بين الإقامة و العلم، و من هنا استحضر نظام الأربطة و استفاد منه لتخطيط المدارس كرباط سوسة و المنستير.

–أصبح التعليم تعليما رسميا يخضع لإشراف الدولة و مراقبتها و هده السياسة كانت مطبقة بمدارس تلمسان،حيث خضعت في إدارتها و نظام التدريس بها للدولة .

–تخطيط المدارس في بلاد المغرب الأوسط،يقوم على الصحن المركزي ، و ما يحيط به من حجرات و غرف و بالجهة الجنوبية يقوم المصلى و هو قاعة الدرس ،و الجهة الشمالية خصصت للمدخل و تحوي اغلب هذه المدارس على طابق أعلى باستثناء مدرسة أولادالإمام التي كانت تعد جد بسيطة فكانت تفتقر لمدخل أو صحن أو طابق علوي.

- بنيت معظم المدارس في وسط اجتماعي متحرك في أحياء سكنية كثيفة بالسكان ، أو مجاورة للأسواق أي جاءت في مركز المدينة ، ما عدا مدرسة سيدي بومدين التي بنيت في موضع لم يكن مزدحما بمنشات معمارية أخرى.

-انفردت المدرسة التاشفينية بخاصية فريدة بحيث تتميز ببيت الصلاة فيها على ثلاثة أقسام تتصل ببعضها البعض بواسطة عقود كبيرة ،تذكرنا بالعمارة الشرقية و على وجه الخصوص المدارس الشامية كمدرسة معرة النعمان و الشرفية بحلب كما كان تصميم المدرسة مزدوج المعالم فهي عبارة عن مسجد و مدرسة في آنواحد.كما انفردت بو فرها على زخرفة من الفسيفساء الخزفية جد نادرة.

- كما لا يمكن إنكار أهمية هذه المدارس في ظهور علماء و فقهاء داع صيتهم في أنحاء العالم الإسلامي الذين برعوا في مجالات عديدة كالفقه و علم الحديث و العلوم الأخرى كالحساب و المنطق و العلوم اللغوية و العربية و غير ذلك، و كذلك تشجيع الحكام لهم و مكافأتهم و التيسير الإقامة لهم.

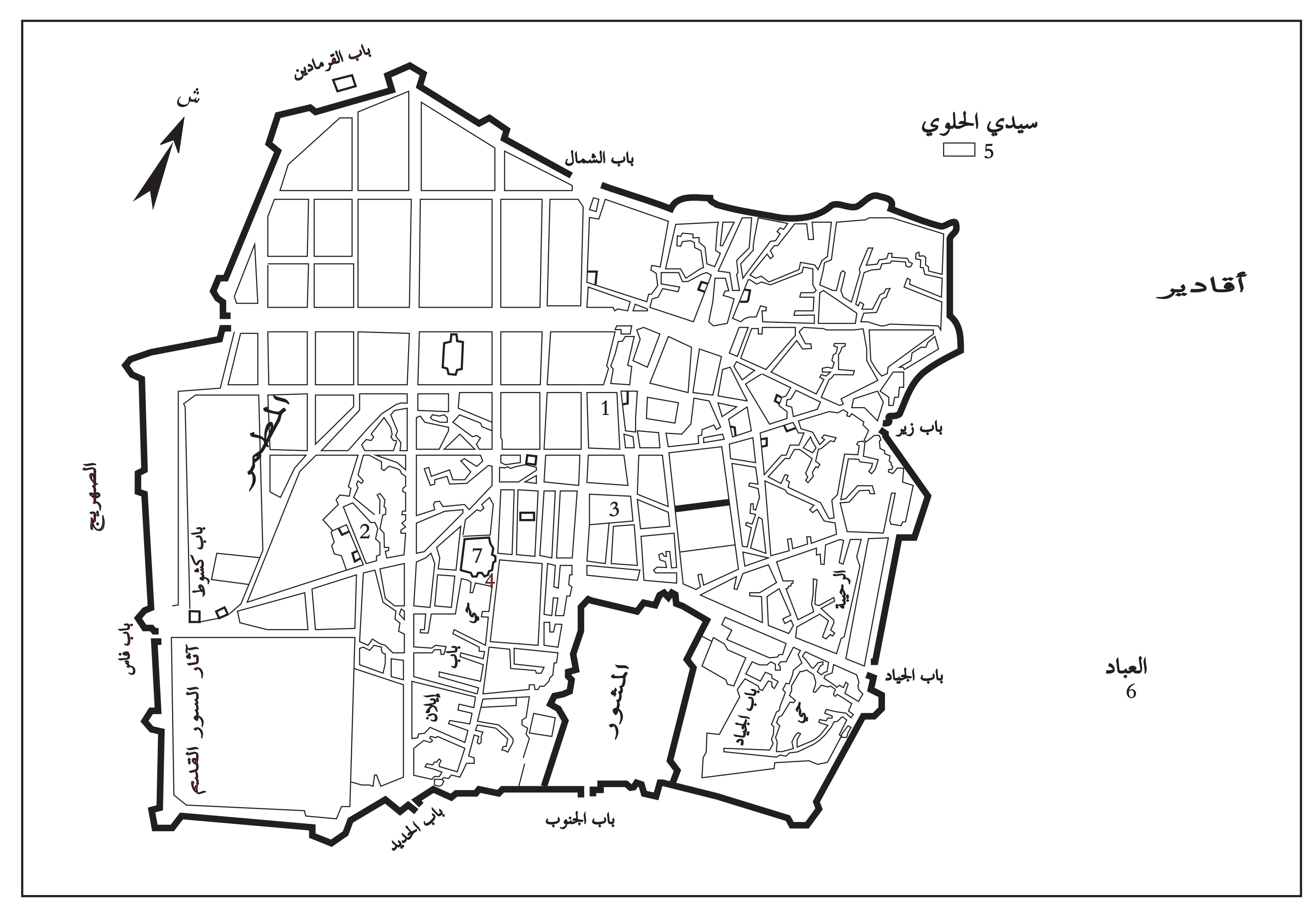
- استمر الزيانيون و المرينيون في استخدام مواد البناء التي عرفت في العهد الموحدي في عمائرهم حيث لم يطرأ عليها تغيير كبير وذلك لعدم ضخامة عمائرهم ،حيث لم يستخدموا الحجارة الكبيرة المصقولة إلا ما وجد في مئذنة المنصورة.

-ابتكار خاصية الزخرفة بالفسيفساء الخزفية ذات أشكال هندسية متنوعة التي وجدت بكثرة في المدارس الزيانية و المرينية.

-التأثر بالتقاليد المرابطية و الموحدية من الناحية الفنية و الذي يظهر في عنصر المراوح النخيلية الصماء،و يظهر أيضا التأثيرالأندلسي في تموجها و التواءها.

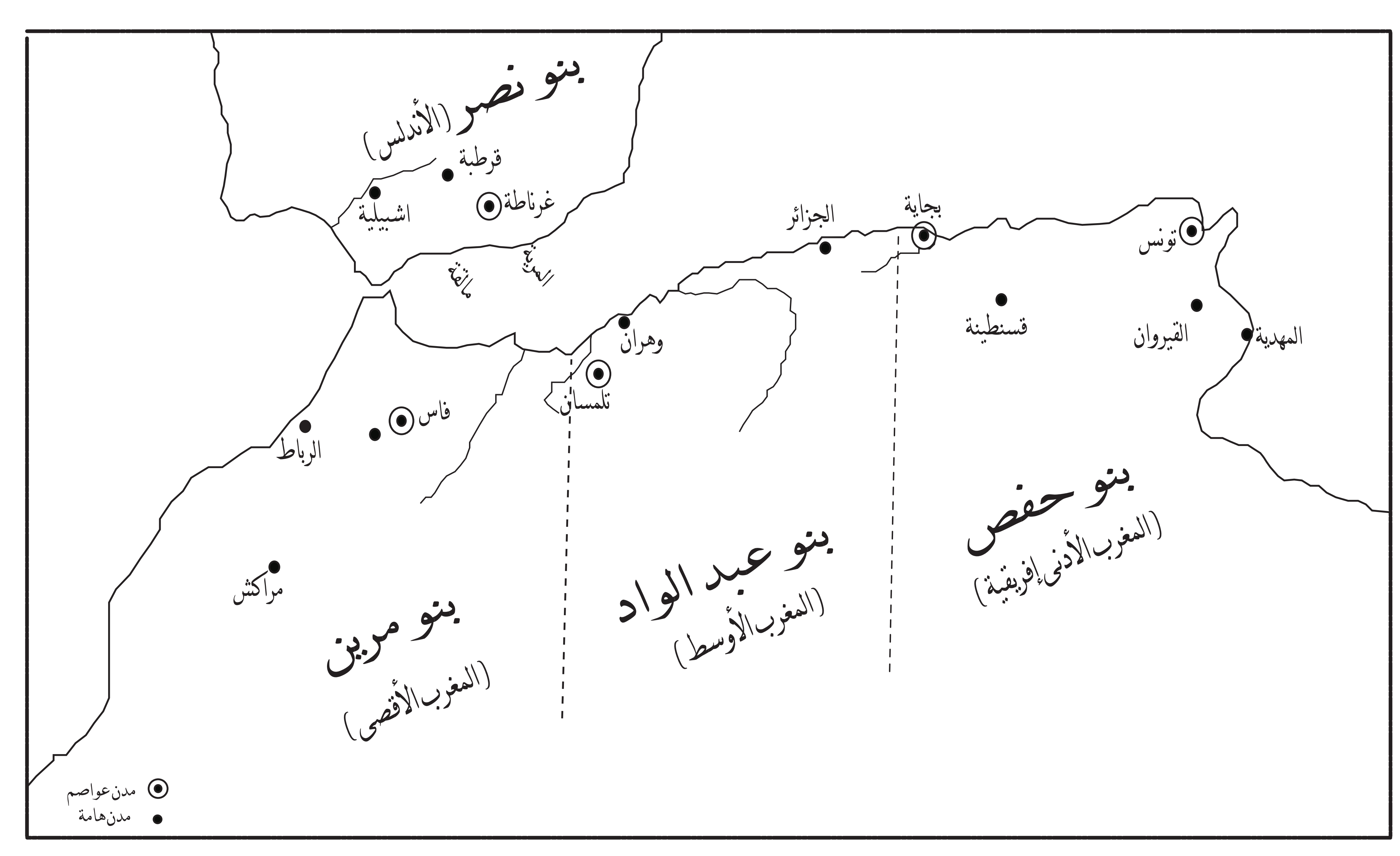
- تعرض تلمسان و الدولة الزيانية إلى هجمات جارتيها الحفصية في الشرق و المرينية في الغرب الذي كان ينتهي بالاستيلاء عليها وحصار المدينة تبعها تهديم البنايات ،هذا ما أدى إلى قلة المباني و المؤسسات التعليمية التي شيدت من طرف بني عبد الواد ، و لم تبق سوى المدرسة الخلدونية التي بنها المرينيون.

ملحق الخرائط



الخريطة 1 : تموقع المدارس في النسيج المعماري لتلمسان

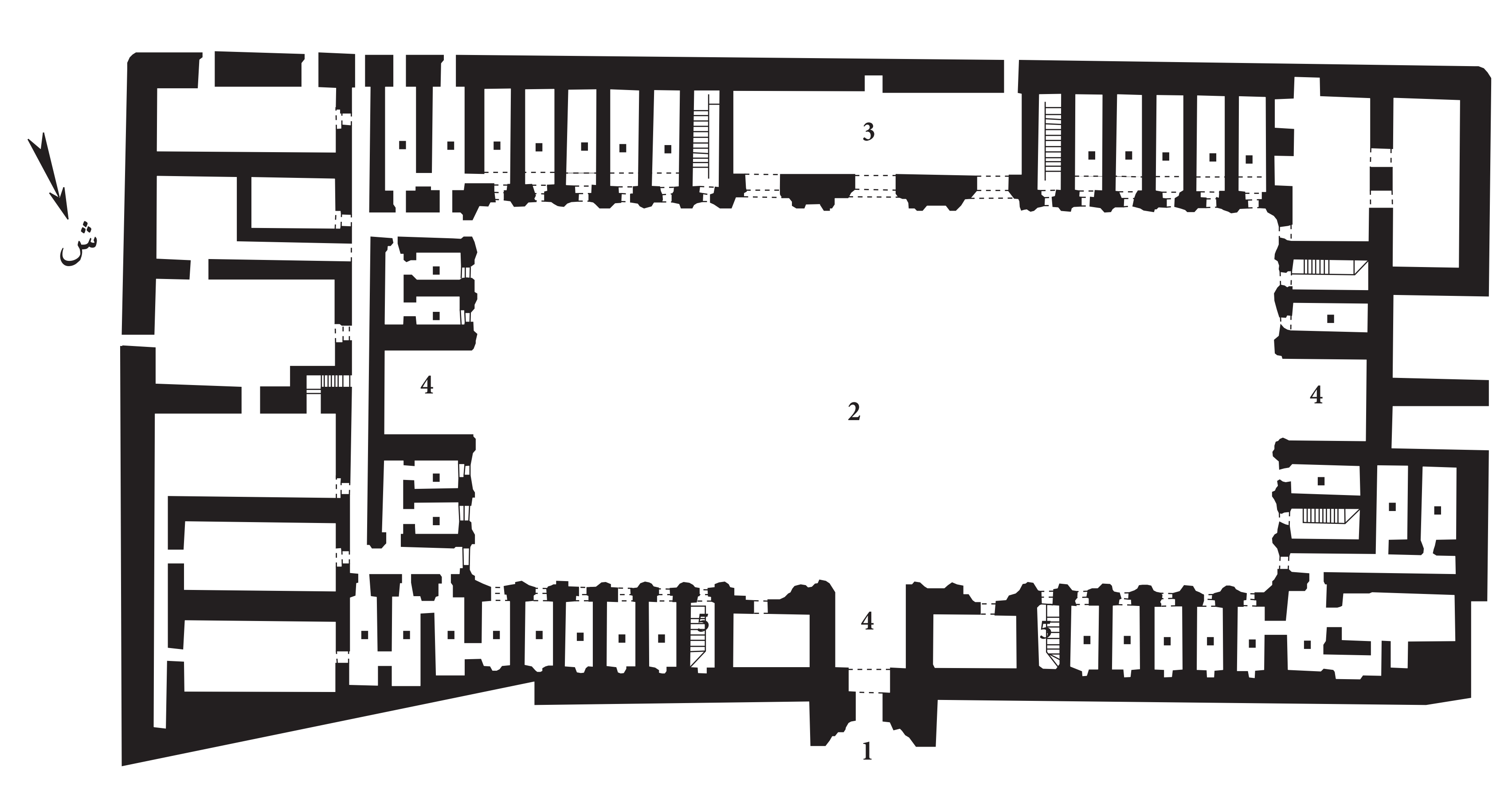
1 – المسجد الجامع
2 – مسجد أولاد الإمام
3 – المدرسة التاشفينية
4 – المدرسة اليعقوبية
5 – مدرسة سيدي الحلوي
6 – مدرسة العباد
7 – مسجد سيدي اراهيم المصمودي



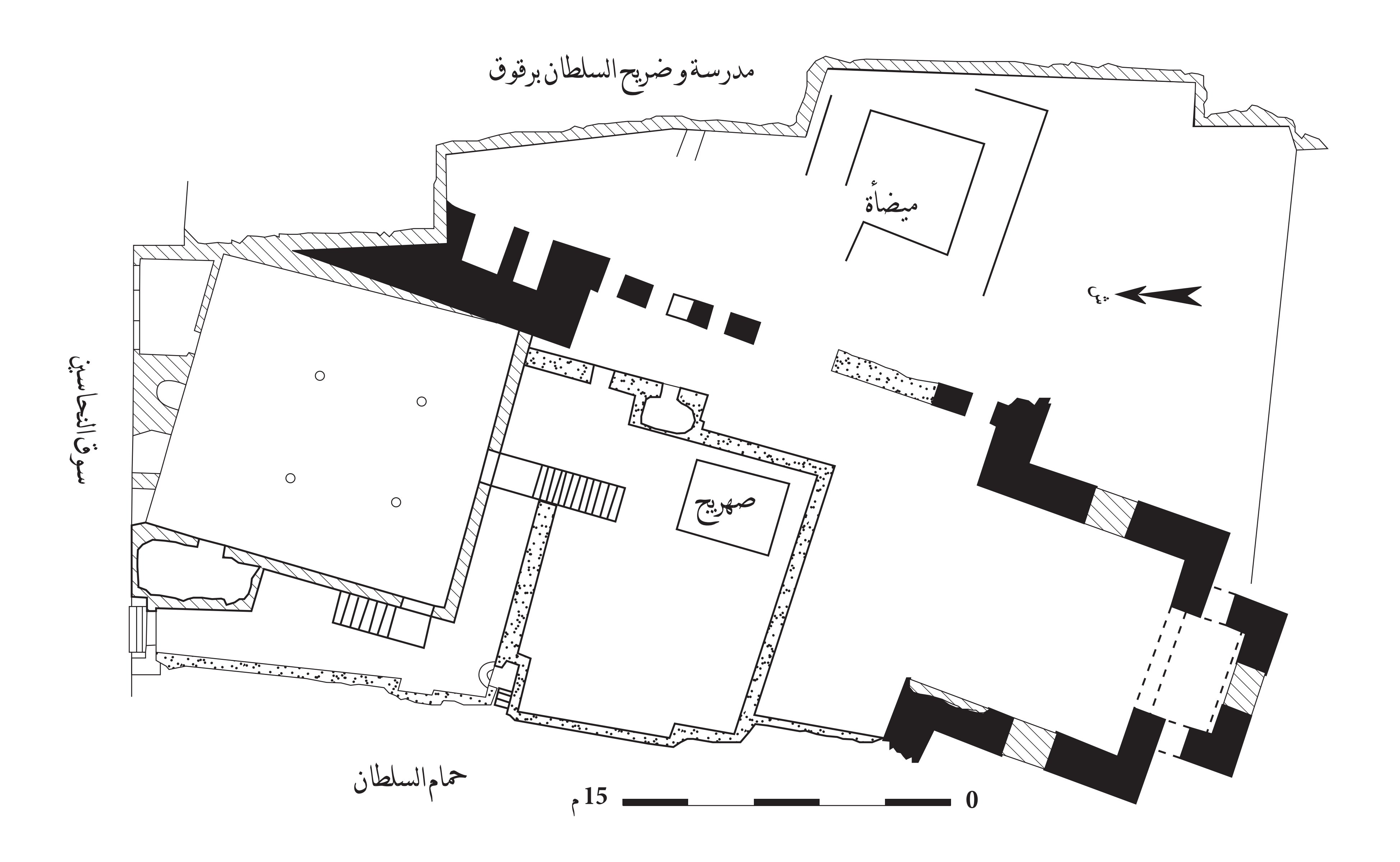
عن محمد بن عمرو الطمار

الخريطة 2 : أوضاع المغرب السياسية في القرن 7هـ / 13م

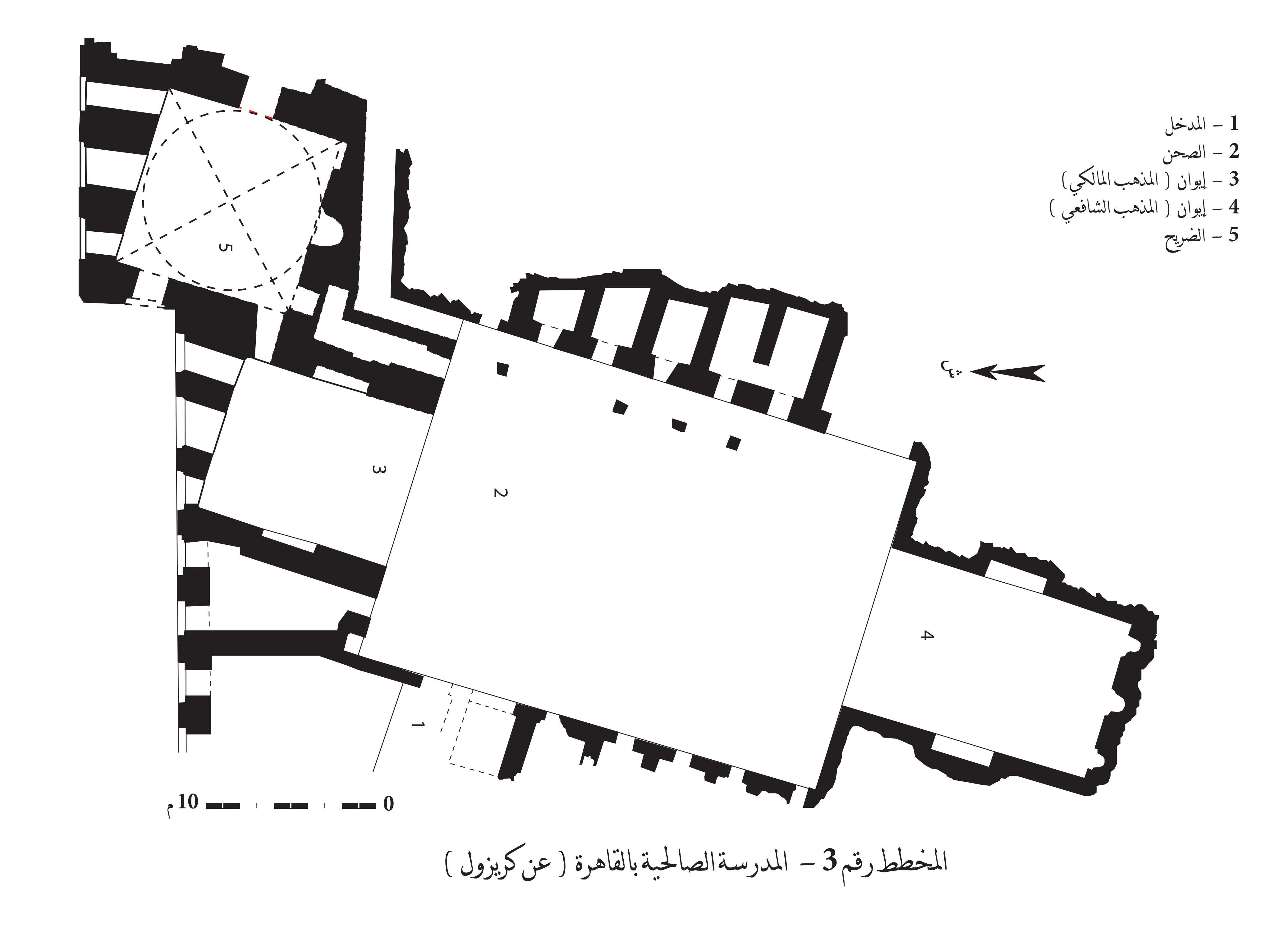
ملحق المخططات



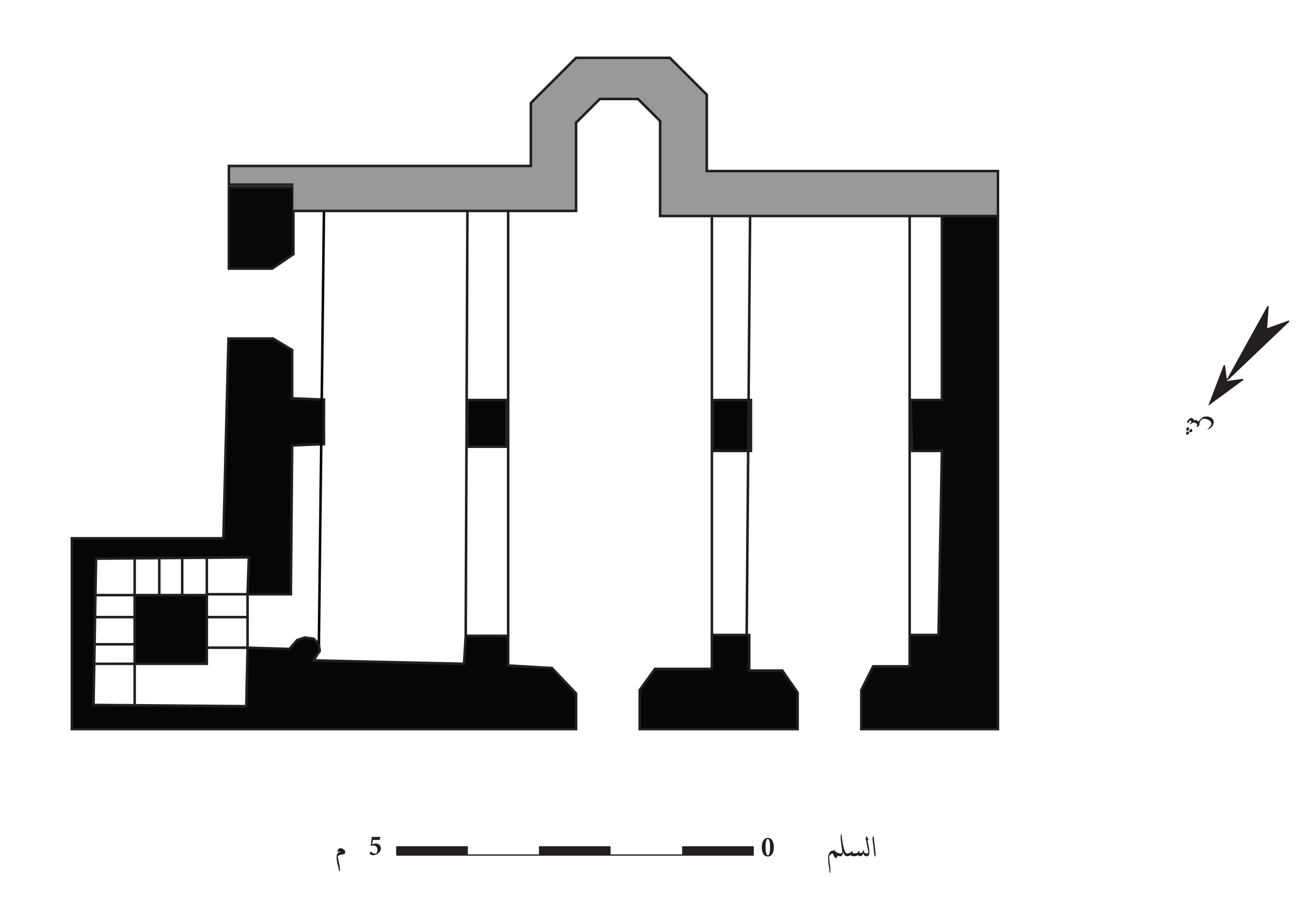
المخطط رقم **1** – المدرسة المستنصرية ببغداد (عن كريزول)



المخطط رقم 2 – المدرسة الكاملية بالقاهرة (عن كريزول)



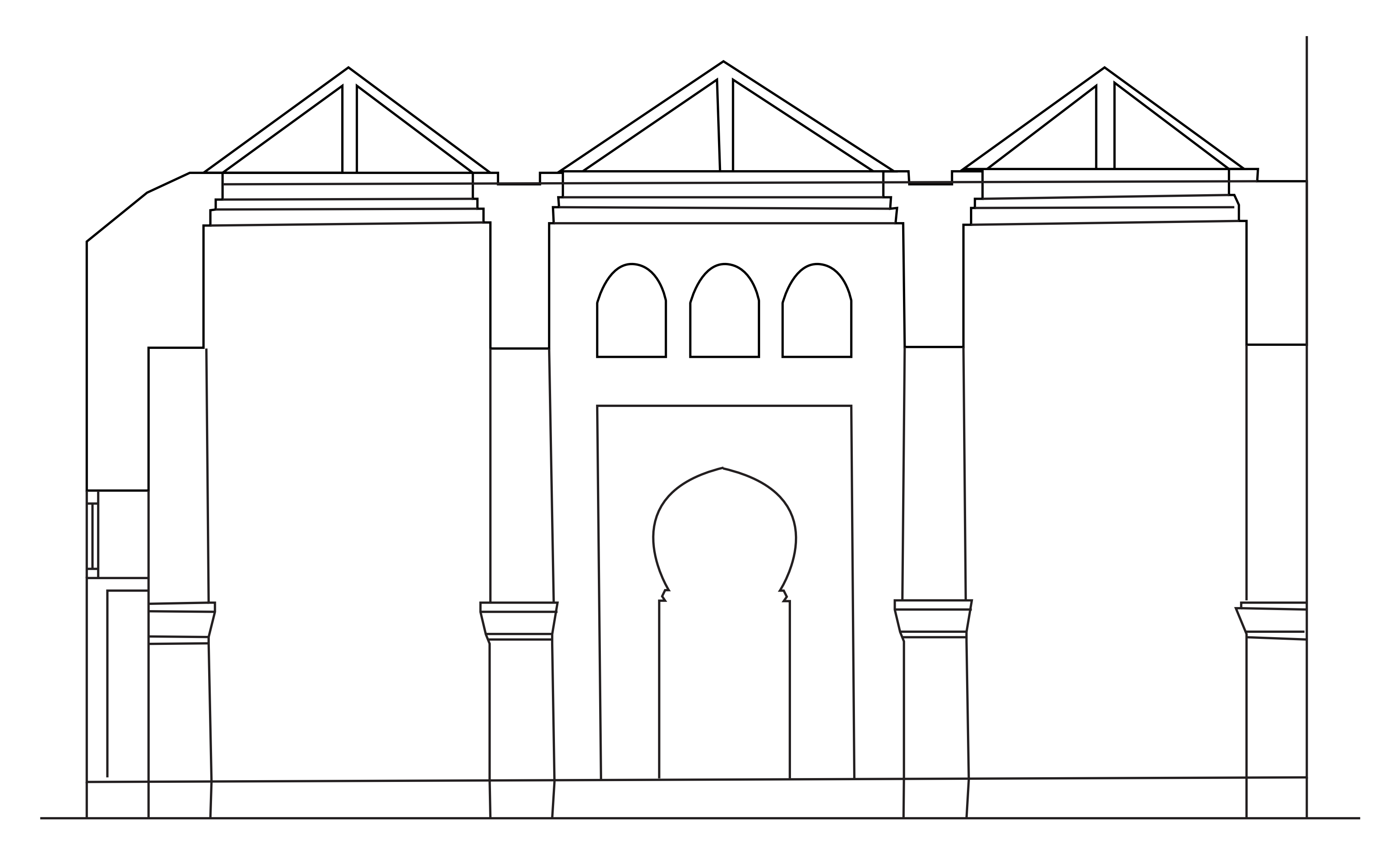
المخطط رقم 3 – المدرسة الصالحية بالقاهرة (عن كريزول)



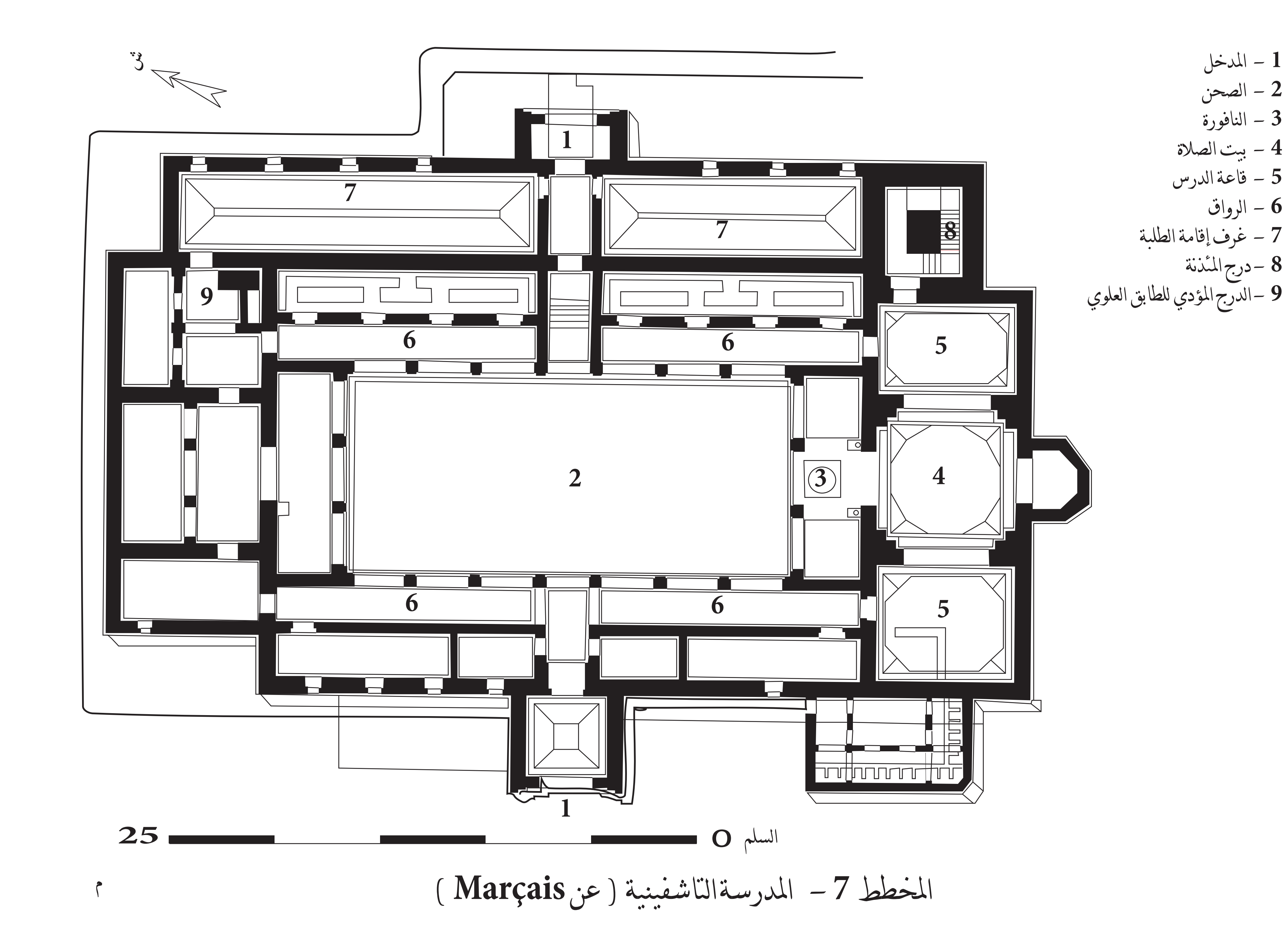
المخطط 4 : مخطط مسجد أولاد الإمام



المخطط 5 : الواجهة الخارجية لمسجد أولاد الإمام

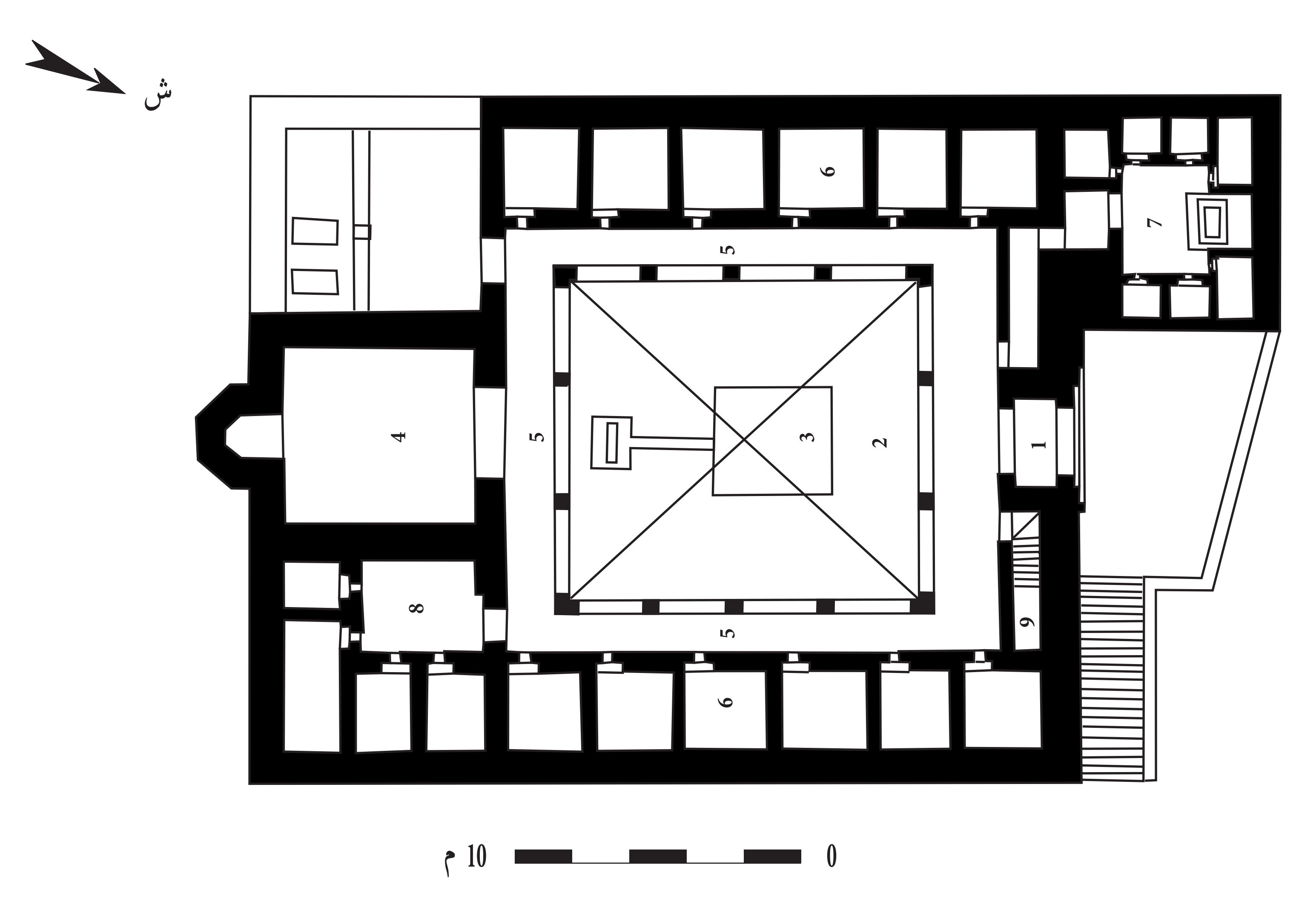


المخطط 6 – الواجهة الأمامية لمحراب مسجد أولاد الإمام

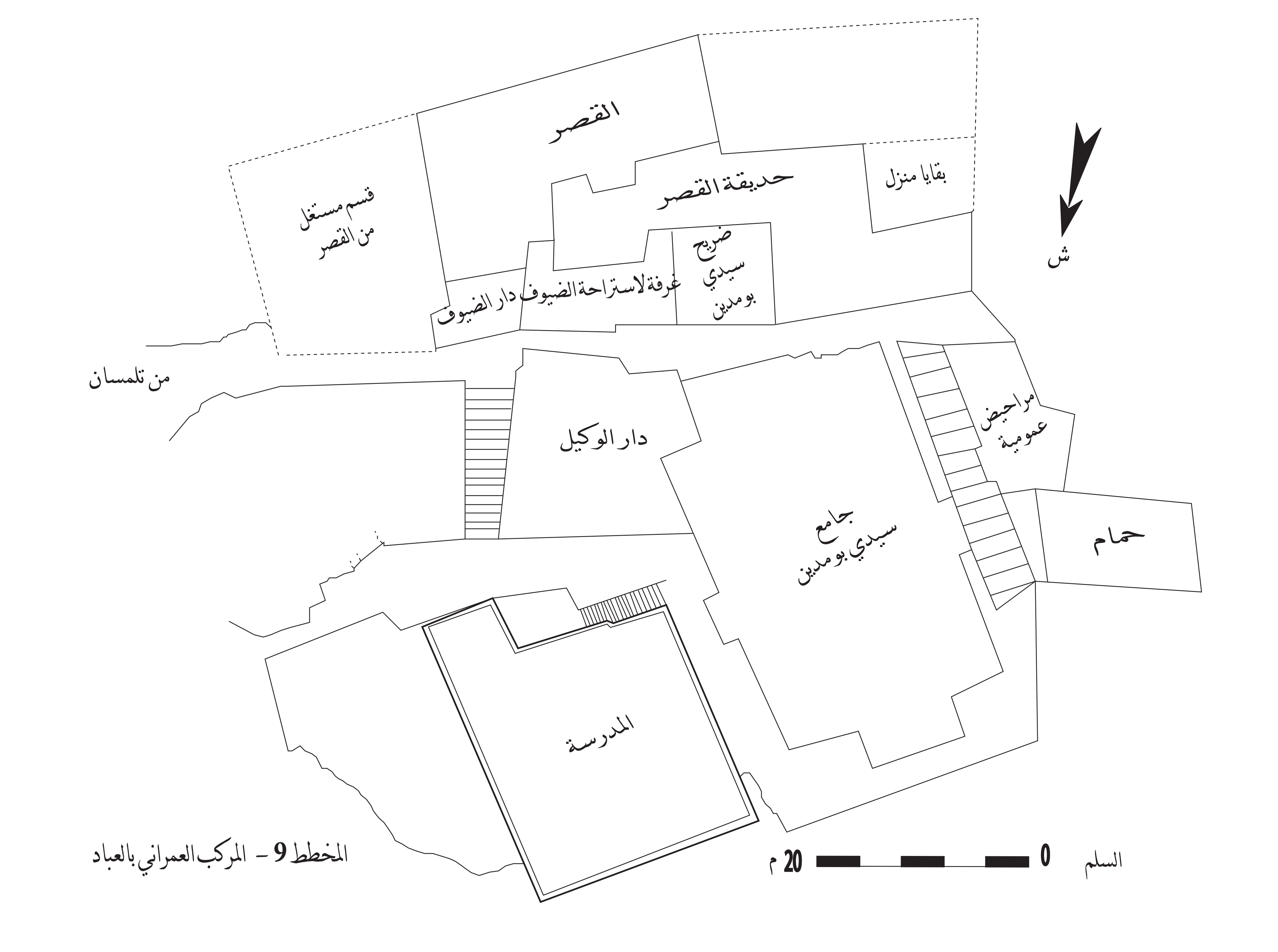


المخطط 7 – المدرسة التاشفينية (عن **Marçais**)

1 – المدخل
2 – الصحن
3 – النافورة
4 – قاعة الصلاة
5 –الأروقة
6 – بيوت الطلبة
7 – الميضأة
8 – جناح خاص بالمدرسين
9 – الدرج

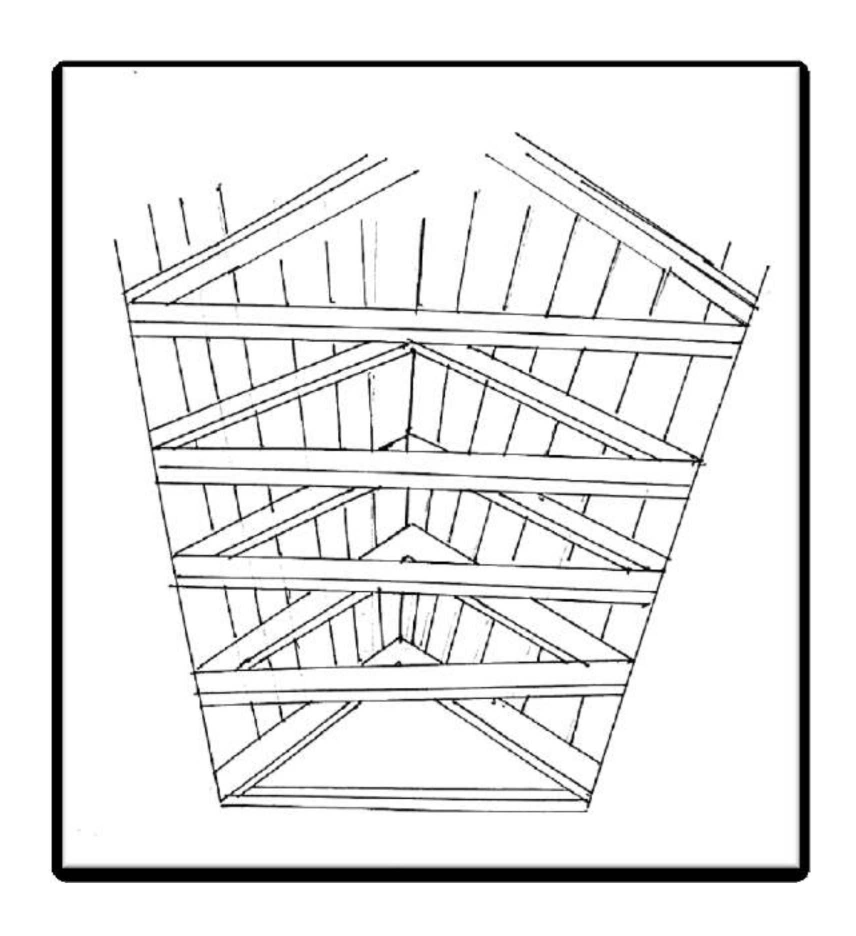


المخطط 8 – مدرسة سيدي بومدين بالعباد

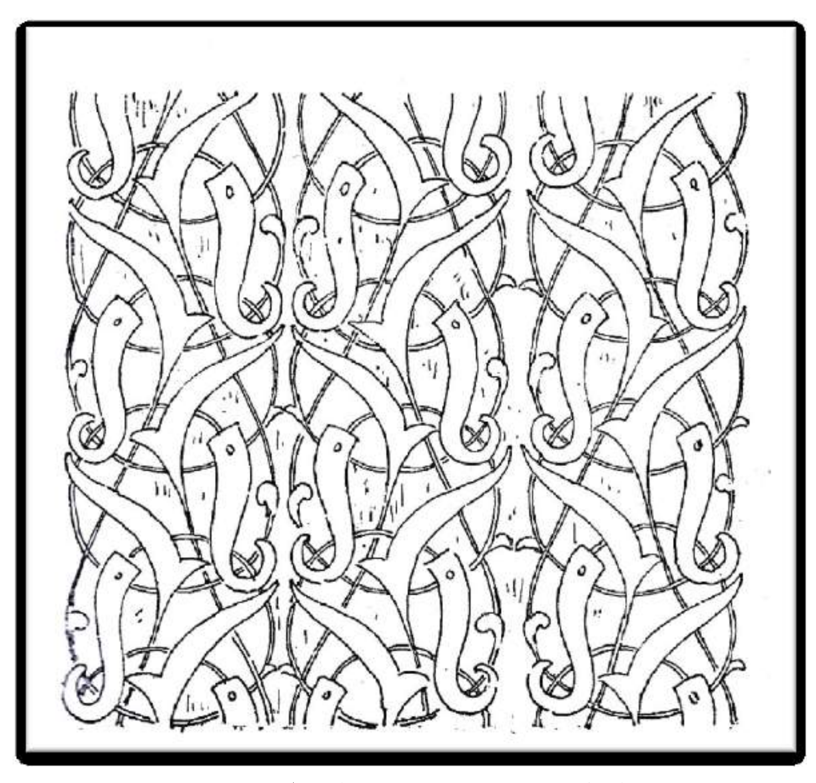


المخطط 9 - المركب العمراني بالعباد

ملحق الأشكال

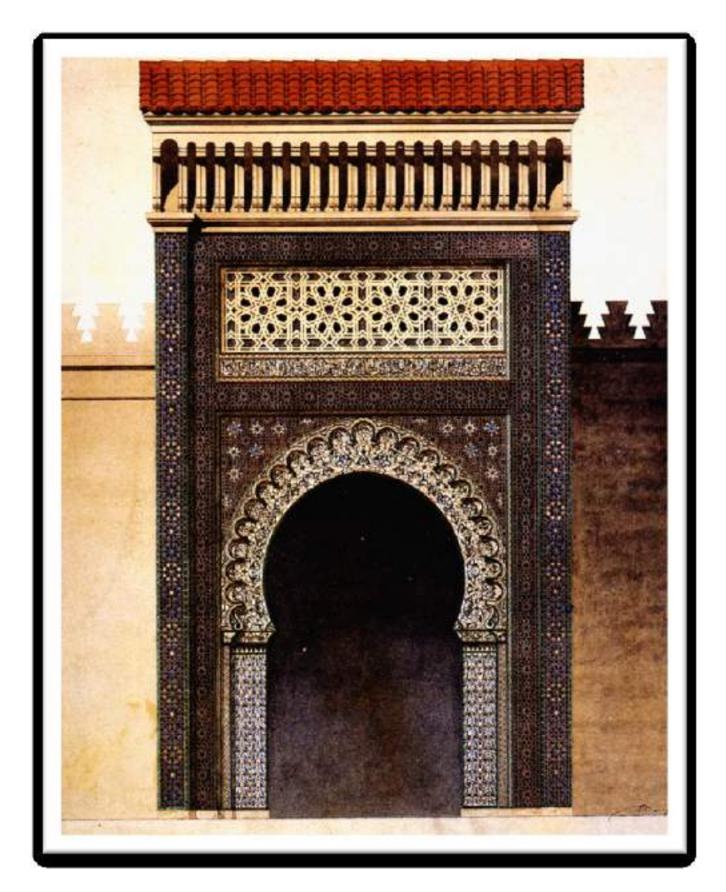


الشكل 1 – مسجد أولاد الإمام : طريقة بناء السقف

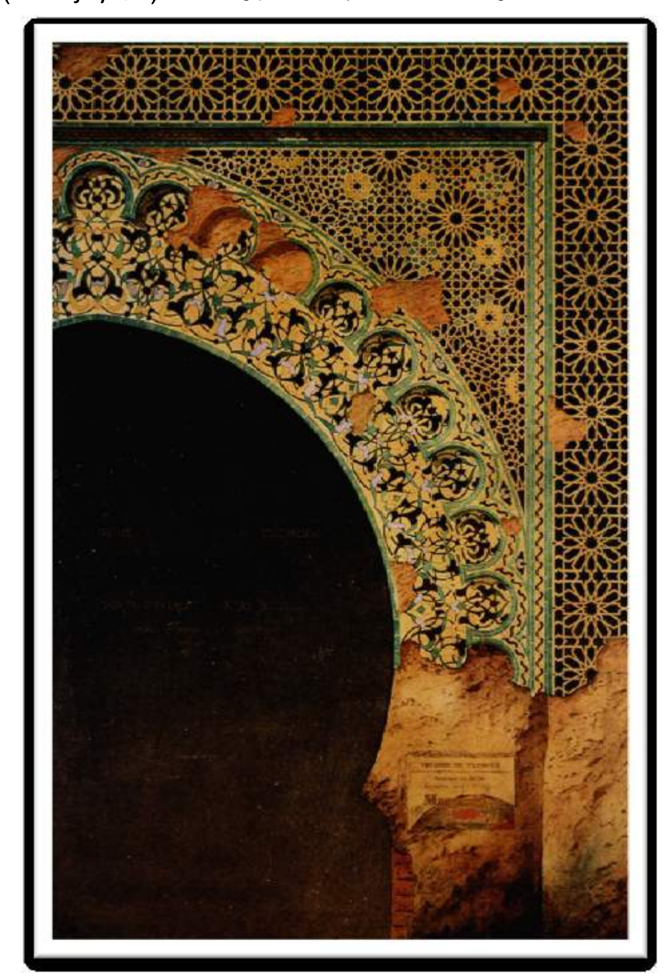


الشكل 2 – زخرفة نباتية متداخلة باطار محراب

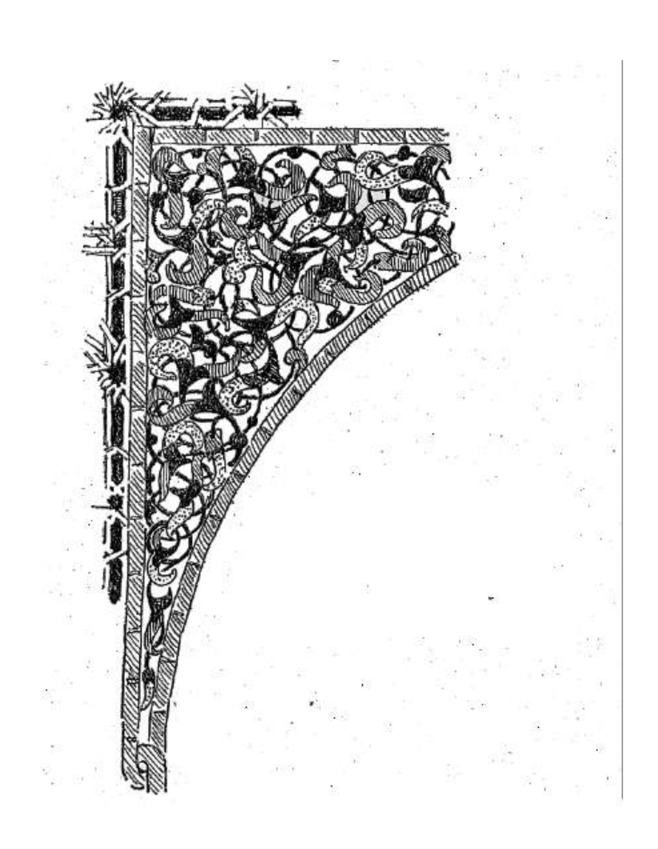
مسجد أولاد الإمام (عنMarçais)



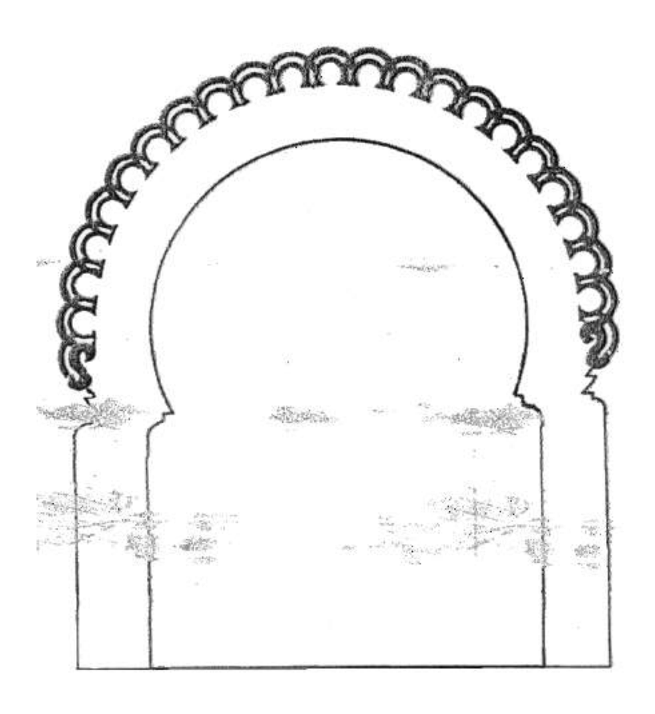
الشكل 3 – المدرسة التاشفينية : إعادة تصور للمدخل (عن Don joy)



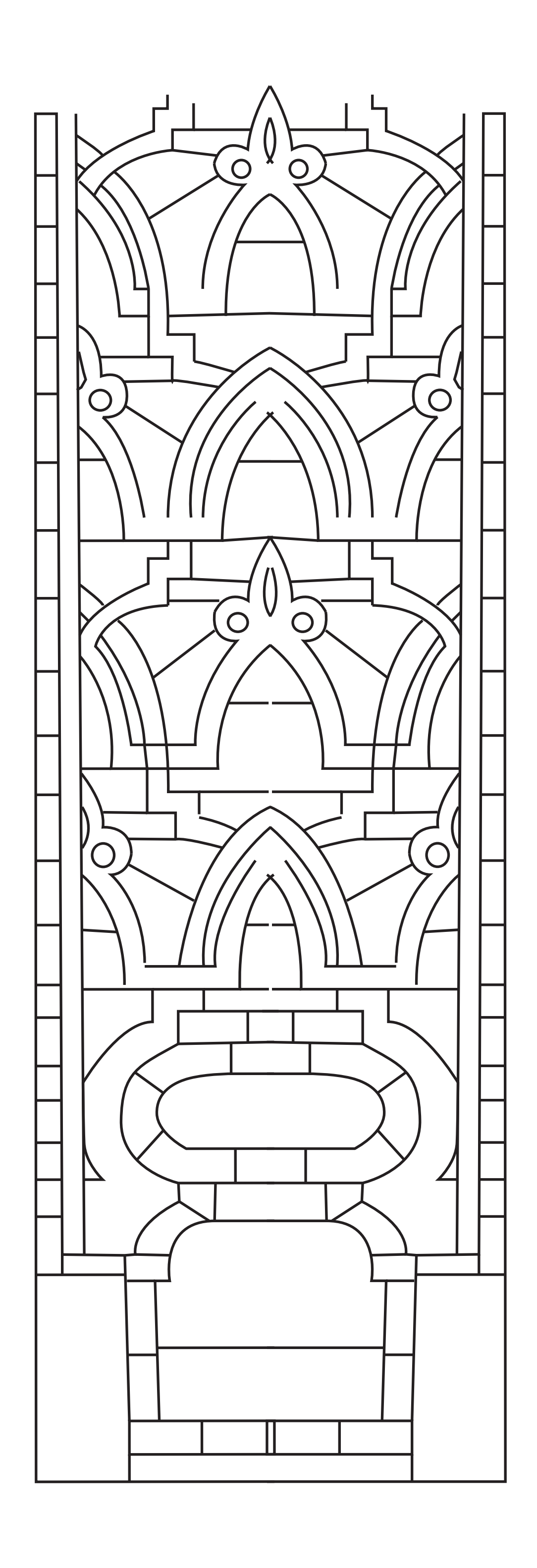
الشكل 4 – زخرفة تؤطر مدخل المدرسة التاشفينية (عن Don Joy)



الشكل رقم 5 – زخرفة نباتية متشابكة تؤطر فسقية المدرسة التاشفينية (عن Marçais)



الشكل رقم 6 – رسم يوضح العقدين المتراكبين لمدخل مدرسة سيدي بومدين



الشكل **7** – رسم يوضح معينات إكليلية بإطار المدخل (عن **Marçais**)



الشكل رقم 8 – رسم يمثل طريقة بناء القوس بمدرسة سيدي بومدين

ملحق الصور



الصورة 1 – الأبواب الخارجية لمسجد اولاد الإمام



الصورة 2 – -مدخل بيت الصلاة



الصورة 3 – مسجد اولاد الإمام: عقود بيت الصلاة



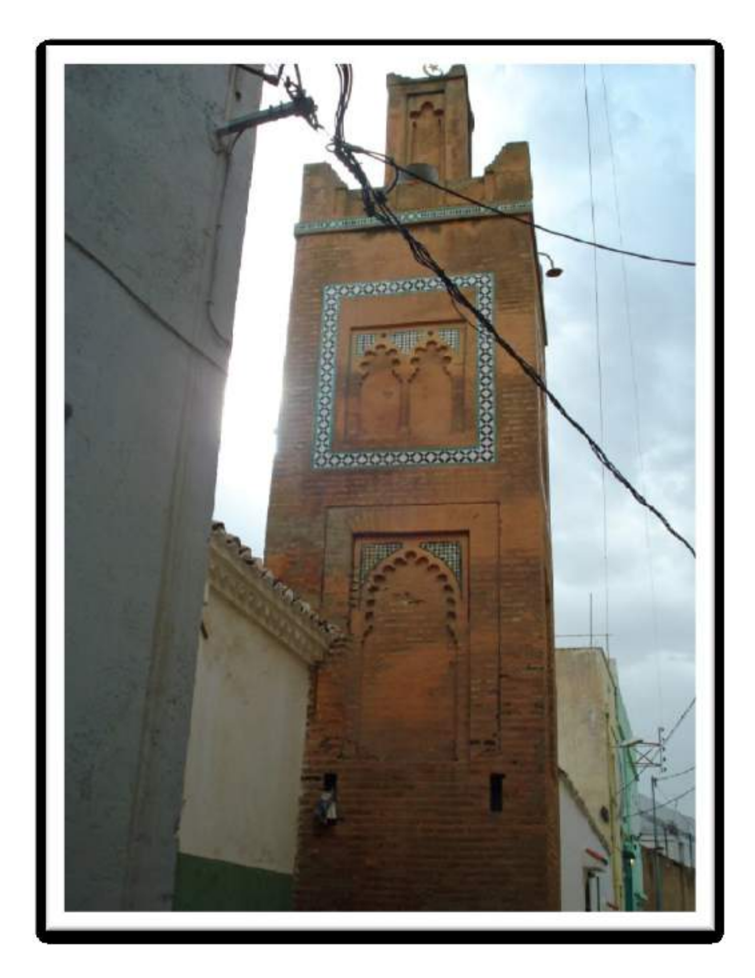
الصورة 4 – سقف جمالوني



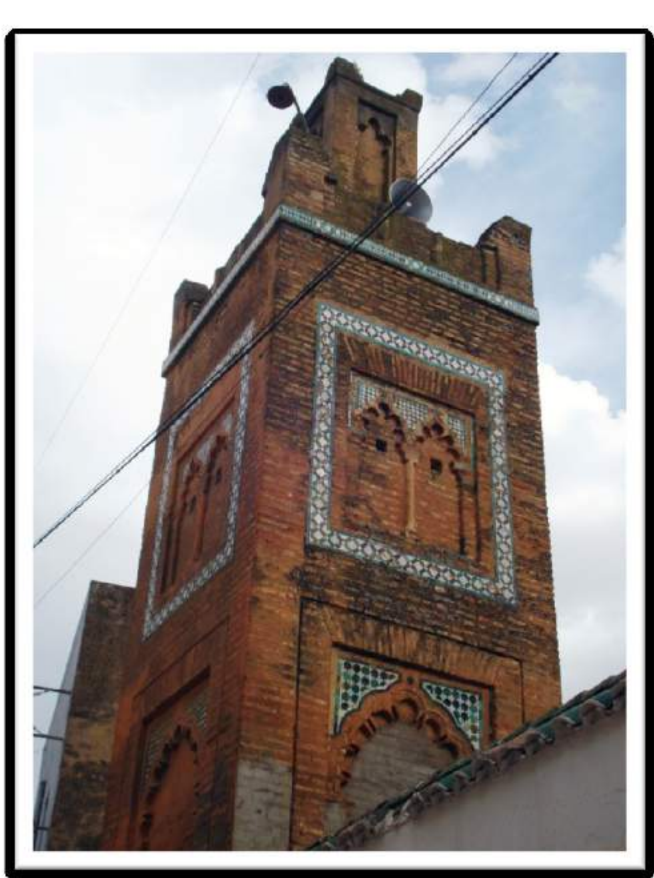
الصورة 5 – محراب مسجد أولاد الإمام



الصورة 6 – زخرفة الجزء العلوي لأطار محراب مسجد اولاد الإمام



الصورة 7– مئذنة مسجد أولاد الإمام



الصورة 8 – زخرفة إحدى واجهات المئذنة



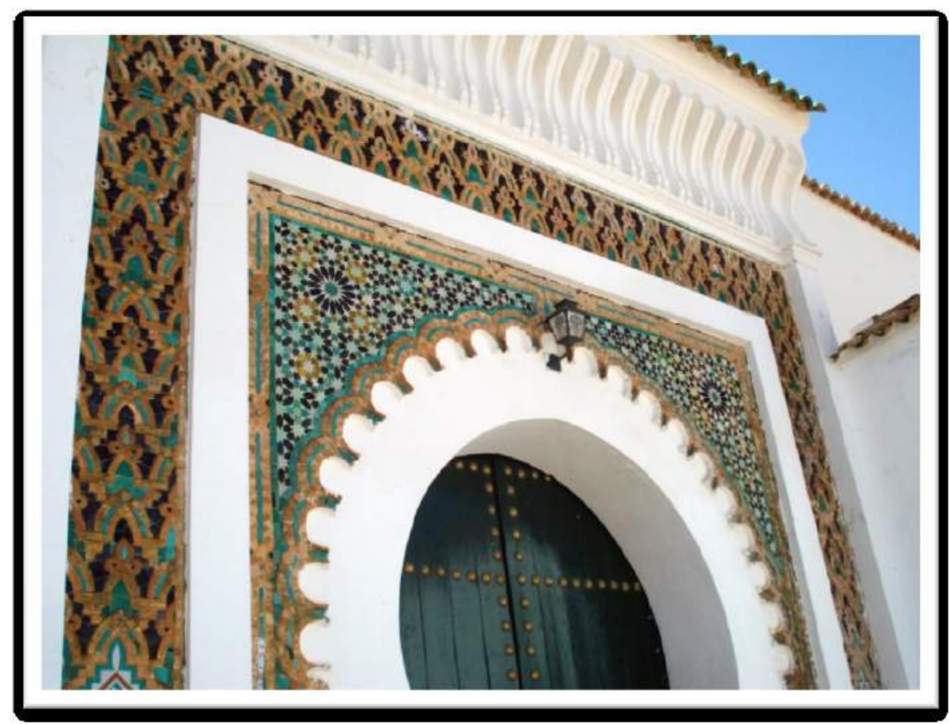
الصورة 9 – نموذج من الفسيفساء الخزفية للمدرسة التاشفينية



الصورة 10 – باب المدرسة التاشفينية الخشبي



الصورة 11 – تلمسان: مدرسة أبي مدين : المدخل الرئيسي



الصورة 12 – زخارف واجهة مدخل مدرسة سيدي بومدين



الصورة 13 – جزء تفصيلي من زخارف المدخل



الصورة 14 – صحن مدرسة سيدي بومدين



الصورة 15 – بيوت إقامة الطلبة (الطابق السفلي)



صورة 16 –الطابق العلوي



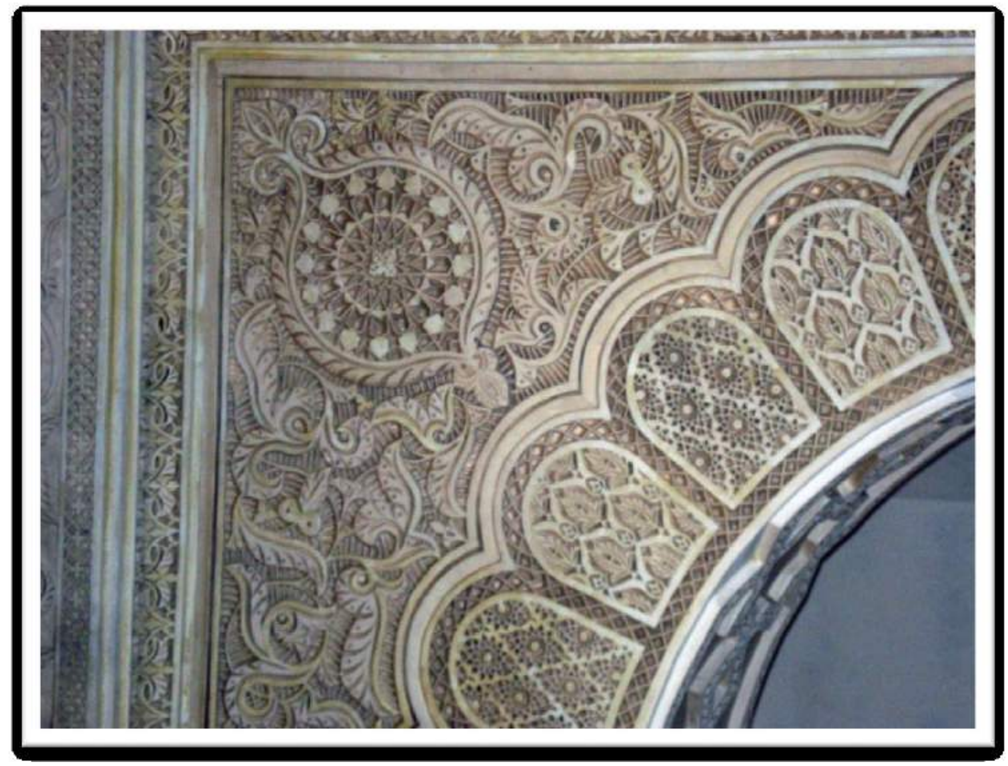
الصورة 17 – أحد مداخل سكنى الطلبة



الصورة 18 – سقف غرف إقامة الطلبة



الصورة 19 – محراب المدرسة

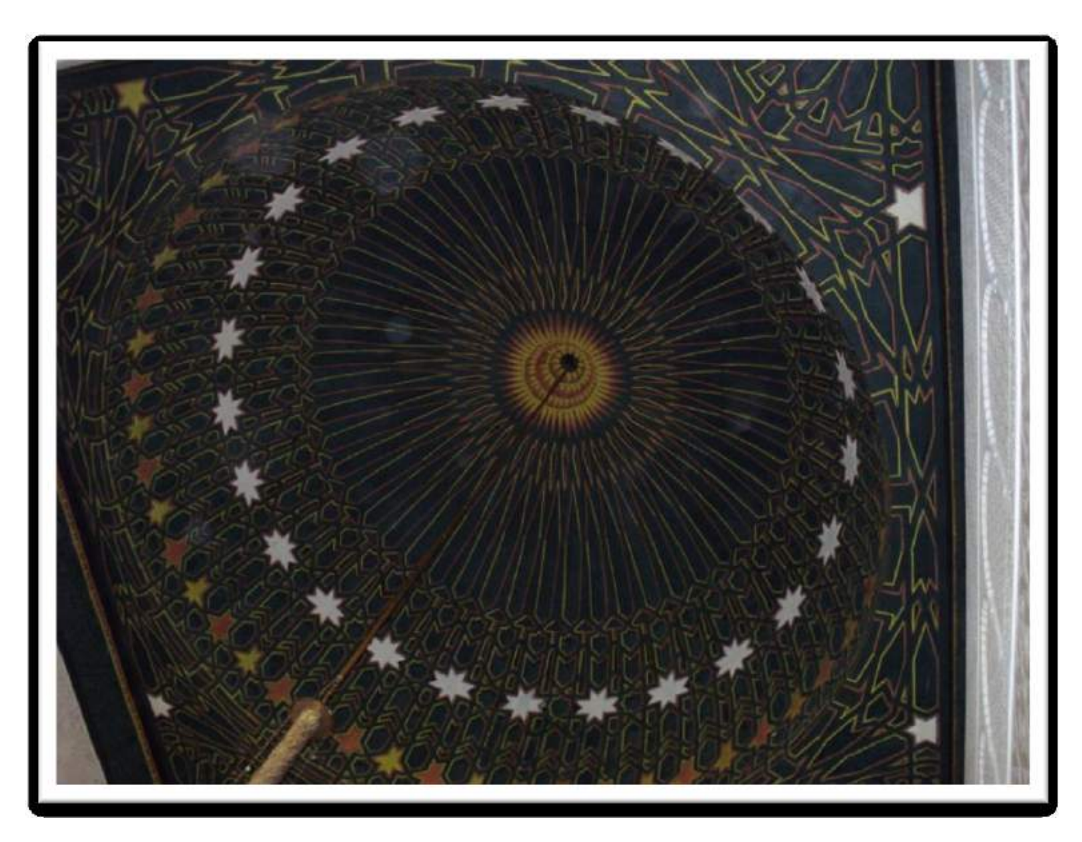


الصورة 20 – تلمسان :مدرسة أبي مدين : زخارف كوشة المحراب





الصورة 21- 22 - الزخرفة الكتابية المحيطة بمحراب مصلى سيدي بومدين



الصورة 23 – زخارف القبة الرئيسية



الصورة 24 – فسيفاء خزفية تغطي أسفل الجدران



الصورة 25 – منظر عام لموقع مدرسة سيدي الحلوي بجانب المسجد



الصورة 26 – مدخل جامع سيدي الحلوي

ثبت بالمصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

أولا-المصادر والمراجع باللغة العربية:

I- المصادر:

1- القران الكريم برواية ورش عن نافع.

2- **أبو الحسن محمد بن أحمد (ابن جبير)(ت614ه-1217م)**

تذكرة بالأخبار عن اتفاقيات الأسفار،ط دار صادر، بيروت ،1964م.

3-***أبو العباس أحمد التيجاني(ت 1230ه/1815م)***

رحلة التيجاني، المطبعة الرسمية، تونس، 1958 م.

4- **ابن أبي دينارابو عبد الله محمد(ت 1110ه/1698م)**

المؤنس في تاريخ إفريقيا و تونس، تحقيق محمد شمام، ط1، المكتبة العتيقة تونس، 1967.

5- **ابن أبي زرع أبو الحسن(ت 726ه/1325م)**

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ط الرباط 1999.

6- **ابن الأحمر(أبو الوليد إسماعيل)(ت 807ه/1404م)**

روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط 1962.

7- **ابن بطوطة،أبو عبد الله اللواتي الطنجي(ت779ه-1377م)**

الرحلة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر، بيروت 1384هـ/1964م.

8- **ابن جماعة محمد ابن إبراهيم سعد الله (ت 733ه/1333م)**

تذكرة السامع و المتكلم في أدب العالم و المتعلم،مطبعة دار البشائر الإسلامية، 2008م.

9- **ابن خلدون (عبد الرحمن)(ت808ه-1406م)**

كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في ذكر العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، طبعة بولاق، بدون تاريخ.

10- **ابن خلدون (يحي)(ت780ه-1378م)**

بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، ج1، تحقيق عبد الحميد حاجيات، م.و للنشر الجزائر 1980.

11- **ابن عذارى المراكشي(ابو عبد الله محمد)(ت 712ه/1312م)**

البيان المعرب في أخبار الأندلس و المغرب،تحقيق و مراجعة ش.كولانو إ.ليفيبروفنسال ، بيروت 1948،

12- **ابن مريم)(أبو عبيد الله محمد ابن احمد)(ت 1064ه/1653م)**

البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر (دون تاريخ).

13- **التنسي (محمد بن عبد الله)(799ه-1493م)**

تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.

14- **التلمساني ابن مرزوق(ت781ه-1379م)**

المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن (تحقيق ماريا خيسوسبيغيرا، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.

15- **الحفناوي(ابو القاسم محمد)(ت 1360ه/1943م)**

تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر 1324 هـــ / 1906 م

16- **الروداني(أحمد بن سليمان)(ت1094ه/1683م)**

صلة الخلف بموصل السلف، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988.

17- **السبكي(تاج الدين عبد الوهاب)(ت 771ه/**

معيد النعم و مبيد النقم ،تح محمد يوسف موسى،مكتبةالخانجي للطباعة و النشر و التوزيع ط1، 1905م.

18-السخاوي (شمس الدين)(ت 902ه/1497م)
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات مكتبة الحياة، (د-ت) ج7.
19-السلاوي(أحمد بن خالد)(ت 1315ه/1897م)
الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2 دار الكتاب، الدار البيضاء 1954.
20-**الشهرستاني (محمد ابن عبد الكريم)(ت 548ه/1154م)**
الملل و النحل ، تحقيق كورتر ،لندن 1842.
21-**القابسي (أبو الحسن)(ت 403ه/1013م)**
الرسالة المفضلة لأحوال المتعلمين دراسة وتحقيق أحمد خالد، الشركة التونسية، ط1، 1986.
22-**القلصادي(أبو الحسن علي) (ت 891ه/1487م)**
رحلة القلصادي، دراسة و تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978.
23-**المقري:(أبو العباس احمد بن محمد التلمساني)(ت 1402ه-1632م)**
أ- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ضبط و تحقيق مصطفى النقا، إبراهيم الابياري، طبع صندوق إحياء التراث الإسلامي، المغرب، ج3، الإمارات 1980.
ب-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب تحقيق إحسان عباس، ج5، دار صادر، دار صادر، بيروت 1388هـ/1968م.
24-**المقريزي(أبو العباس تقي الدين احمد بن علي)(ت 845ه-1451م)**
كتاب المواعظ والأخبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزي، ج2، القاهرة، (دون تاريخ).

25-**النميري (ابن الحاج)(كان على قيد الحياة سنة 768ه/1366م)**
فيض العباب و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب ،دراسة و إعداد محمد بن شقرون ،الرباط، 1999.
26-**الوزان(حسن بن محمد الزيات) المعروف بليون الإفريقي(ت 939ه-1532م)**وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ج1، بيروت لبنان، 1983

II- المراجع :

1- إسماعيل علي سعيد

معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي القاهرة ،1986.

2- بن خوجة محمد

تاريخ معالم التوحيد، المطبعة التونسية، تونس، 1358هـــ.

3- بن عميرة محمد

دور زناتة في الحركات المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.

4- بن قربة يو سف صالح

تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة، أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

5- بورويبةرشيد،دهينة عطاء الله

الجزائر في التاريخ من الفتح الى بداية العهد العثماني ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1984.

6- بورويبة رشيد

الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية ،ترجمة إبراهيم شبوح ، الجزائر ،1979.

7- جوليان شارل أندري

تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر و الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ج2.

8- الجيلالي عبد الرحمن بن محمد

تاريخ الجزائر العام، ج2، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.

9- حاجيات عبد الحميد

أبو حمو موسى الزياني حياته و آثاره ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1394ه/1974م.

10- **الحريري محمد عيسى**

تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني ،دار القلم للنشر و التوزيع ،ط1، 1405ه/1985م.

11- **حسن أمين**

المدرسة المستنصرية،مطبعةشفيق،بغداد، 1960م.

12- **الطمار محمد**

تلمسان عبر العصور، ديوان المطبوعات الجامعية، 2077.

13- **حيدر كامل**

العمارة العربية الإسلامية، نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1990 .

14- **الذهبي محمد بن احمد بن عثمان**

سير أعلامالنبلاء ،مؤسسة الرسالة ،بيروت، 1422ه/2001م،ج2.

15- **رالف.** (ج)

المكتبة و دورها في التربية،ترجمة مصطفى الصاوي الجوني،مؤسسة المطبوعات الحديثة، القاهرة، 1987.

16-**سالم عبد العزيز**

مدارس فاس في مساجد ومعاهد، سلسلة كتاب الشعب رقم 78، مطابع الشعب، القاهرة، 1960، ج2.

17-**شاوش الحاج بن رمضان**

باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، ديوان المطبوعات الجامعية 1955.

18-عماد عبد السلام رؤوف

مدارس بغداد في العصر العباسي،دار البصري، بغداد، 1386 هـــ/1966 م

19-عوني الحاج موسى

المدرسة المصباحية بفاس، ملاحظات حول إشعاعها العلمي ومميزاتها المعمارية المصنفة الفخرية للعالم محمد زبيس، المعهد الوطني للتراث تونس(د-ت).

20-الغزالي

إحياء علوم الدين،ج1،دار الكتب العلمية ،ط1403ه.

21-غنيمة محمد عبد الرحيم

تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى ،تطوان ،المغرب1953.

22-فكري أحمد

مساجد القاهرة و مدارسها، دار المعارف، مصر، 1119ه، ج2.

23-فيلالي عبد العزيز

تلمسان في العهد الزياني ،دار موفم للنشر ، الجزائر،2007،ج 1

24-القبلي محمد

قضية المدارس المرينية، ملاحظات وتأويلات ضمن كتاب، في النهضة والتراكم المعرفة التاريخية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

25-قمبر محمود

دراسات تراثية في التربية الإسلامية،دار الثقافة ،الدوحة ،قطر ،1987م.

26-الكتاني يوسف

مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، ج1، بدون تاريخ.

27- **لقبال موسى**

المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، سياسة و نظم، ط2، الجزائر، 1981.

28-**لمليح السعيد**

المدارس المرينية و دورها الفكري بالمغرب، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ،فاس ،1988-1989.

29-**مارسي جورج**

مدن الفن الشهيرة، ترجمة سعيد دحماني، دار النشر التل، 2004.

30-**ماهر سعاد**

مساجد مصر و أولياؤها الصالحون، ج1، المجلسالأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1971م.

31-**معروف ناجي**

تاريخ علماء المستنصرية، ج1،بغداد،1959.

32-**مقدسي جورج**

مؤسسات العلم الإسلامية ببغداد، الأبحاث تصدر عن الجامعة الأمريكية، ببيروت، 1961، ج3.

III– المقالات:

1- **حاجيات عبد الحميد**

الحياة الفكرية في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، العدد 26، 1975.

2- **لعرج عبد العزيز**

النظام المعماري لمدارس المغرب، دراسة أثرية تحليلية، مجلة آثار، العدد 8، 2009.

VI- الرسائل الجامعية:

1) **إسكان حسن**

جوانب من التعليم في المغرب الوسيط من ق 7هـ/13م إلى ق 9هـ/15م، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ جامعة محمدالخامس، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط 1988-1987.

2) **بوشقيق محمد**

العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/15م، مذكرة ماجيستير، جامعة وهران، قسم التاريخ، 2004.

3) **عبدلي لخضر**

الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان، رسالة دكتوراه، قسم تاريخ، جامعة تلمسان، 2005

4) **لعرج عبد العزيز**

المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، دراسة أثرية معمارية و فنية، رسالة لنيل درجة دكتوراه الدولة في الآثار الإسلامية، 1999، ج1.

ثانيا: قائمة المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

I– المراجع:

1. **Bargès(J-J-L)**
   - Tlemcen, ancienne capitale du royaume de ce nom, paris 1859pp.326-331.
2. **Bourouiba(R)**
   -L'art religieux musulman en Algérie, 2eme édition, S.N.E.D, Alger 1981.
3. **Duthoit (e)**
   - Rapport sur une mission scientifique en Algérie, archives des missions scientifiques 1873, 3eme série, t1.
4. **Golvin (L)**
   -La madrasa medievale ,EDISUD, 1995.
5. **Marcais (G)**
   a- L'architecture musulmane d'occident arts et métiers graphique, paris, 1954.
   b- Remarques sur les medersas funéraires en berberie « à propos de la tachfinia de Tlemcen », mélanges Gaudfroy demombynes, institut français, le Caire, 1937.

6. **Marcais (W)**
   Musée de Tlemcen, édition Ernest Leroux, paris, 1906

7-Marcais (G) et (W)
Les monuments arabes de Tlemcen, fontemoiny, paris 1905.

8-Piesse (L) et Banal (J)
- Tlemcen (extrait de la revue l'Afrique française), paris 1889.

9-Koumas (A) et Nafa (CH)
- L'Algérie et son patrimoine, éditions du patrimoine, paris, 2003.

II- المقالات:

1- Alfred (b)

- Inscription arabes de Fès, extrait du journal asiatique, 1917-18 imprimeries nationales, paris, 1919

2-Brosslard (CH)

- « les inscriptions arabes de Tlemcen », revue africaine , 1859 ou 1862.p.p167-172.

3-Brunchving (R)

- « remarques sur les medersas tunisiennes»extrait de la revuetunisienne ,2éme trimestre 1931.

4-Hillenbrand (R)

- « madrassa », encyclopédie de l'islam T.V paris, GP Maisonneuve, 1986 -p1119/1120.

ملحق الفهارس

أولا : فهرس الأعلام

ثانيا : فهرس الأماكن

تلمسان	3-5-7-9-10-11-12-13-14-16-17-18-19-20-21-26-30-31-32-33-34-35-36-38-39-40-42-47-51-52-53
تنس	13
تونس	4-5-19-20-33-48-55
الجامع الأعظم	53
الرباط	29
العباد (قرية)	40
العراق	2
العقاب (معركة)	16-38
عدوة القرويين	3
غرناطة	48-51-55
فاس	3-20-27-32-33-36-38-39-52-55
فارس	1
القاهرة	51-55
قرطبة	12
القيروان	11-20
المدرسة البهيقية	1
المدرسة السعدية	1
المدرسة النظامية	1-2
المدرسة المستنصرية	2-3-50
المدرسة الكاملية	2
المدرسة الصالحية	2

المدرسة الحسينية	51
مدرسة الحلفائيين	3 – 50
مدرسة نور الدين	2
المدرسة الشماعية	4
المدرسة التوفيقية (مدرسة الهواء)	4
المدرسة المريدية	4
مدرسة الصفارين	5
مدرسة فاس الجديد (مدرسة الدار البيضاء)	5 – 49
مدرسة دار المخزن	5
مدرسة الصهريج	5
مدرسة سلا	5
المدرسة المصباحية	5
مدرسة سيدي بومدين (مدرسة العباد – المدرسة الخلدونية)	5 – 7 – 36 – 40 – 46 – 50 – 51
المدرسة البوعنانية (بوعنانية مكناس)	6
المدرسة المتوكلية (مدرسة فاس)	6
المدرسة التاشفينية	6 – 26 – 27 – 28 – 29 – 30 – 31 – 35 – 36
المدرسة اليعقوبية	7 – 32 – 33
مدرسة سيدي الحلوي	7 – 47
المدرسة القديمة	18
مدرسة أولاد الإمام	18 – 25

ثالثا :فهرس المخططات

الصفحة	عنوان المخطط	رقم المخطط

رابعا : فهرس الأشكال

خامسا : فهرس الصور

فهرس الموضوعات